# أجاثا كريستي

# رحلة إلى المجهول

مكتبة معروف

## اجاثا كريستى

# رحلة إلى المجهول

عمرو يوسف

مكتبة معروف

الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة: ٣٦١١٢٢٩ ص.ب ١٣٧٠ الإسكندرية

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز العربى للنشر بالاسكندرية
معروف أخوان

# الفصل الأول

شهدت العقود الأولى من القرن العشرين صراعاً رهيباً بين المعسكر الشرقى بقيادة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الغربى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية .. كان صراعاً شاملاً متواصلاً .. امتد عبر مختلف الدول ووصل إلى البحار والفضاء الخارجي من أجل بسط النفوذ وتحقيق السيطرة على الموارد وتأمين المواصلات ونشر الأفكار ...

وقد أثمرت هذه الفترة العديد من الأفكار والقصص الرائعة التى تجسد هذا الصراع وتضفى عليه لمسات من الإثارة والتشويق .. كان صراعاً بين جبابرة ، واستغاثت أجهزة المخابرات فى هذه الدول بجيوش من العملاء المحترفين أصحاب المواهب الفذة والقدرات العالية ....

خلال هذا الصراع الملتهب اختفى العالم الانجليزى الفذ بيترتون فجأة بعد أن توصل إلى اكتشاف مثير فى مجال الذرة ... ذلك الكشف السحرى الذى قلب موازين القوى فى العالم .. وبدأت عملية البحث عن بيترتون ...

***

بدا وجهه جامدا خالياً من التعبيرات وهو جالس إلى مكتبه شارد الذهن .. لقد ظل يفكر طوال الساعات الماضية حتى شعر بالارهاق ...

كان رجلاً متوسط العمر لايمكنك تحديد سنه بدقه ... انه ليس كهلاً وليس شاباً .. كانت بشرته غضة خالية من التجاعيد أما عيناه فتدل نظراتها على الارهاق الشديد ...

وبجواره كان يجلس رجل ذو طابع عسكرى يبدو أكبر منه سناً .. يتميز بشاربه الصغير ووجهه الأسمر وعصبيته الواضحه ... كان يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهو يكاد ينفجر غيظاً ...

قال أخيراً :

- متى ينتهى هذا العذاب ؟ ان كل ما يصل إلينا مجرد تقارير جوفاء لاتعنى شيئاً ولا تمكننا من اتخاذ أى اجراء .

كان زميله يطالع تقريراً عليه الكلمات ( بيترتون ، توماس شارل ) .رفع وجهه وقال لزميله :

- ألم تجد شيئاً هاماً فى هذه التقارير ؟

- انها تبدو غامضة إلى حد ما ... معك حق فما زال الأمر يكتنفه الغموض .

انفجر غيظ الرجل العسكرى وكان يدعى الكولونيل "هوراتون" وقال :

- كلها تقارير ... من روما ... من تورين ... من الـــريفيرا ... من انتويرب ... من اوسلو ... من بروكسل ومعه شقراء جميلة ... من

ستراســبورج ومعه كلب .. م' هذا ؟ انه عبث ....

قال مستر "جيسوب " بهدوء :

– لا تصدر أحكاماً متسرعة يا "هوراتون " .. ألم يلفت نظرك أى شئ فى هذا التقرير الوارد من "انتويرب " ؟ !

– ان الأمر محير للغاية .. لابد أن نعرف كيف اختفى هذا العالم وأين ولماذا ؟ هل هو نفسه الذى نراه أم لا ؟ من الذى يعبث بنا إلى هذه الدرجة المؤلمة ؟

هل قرأت التقرير الوارد عنه من أمريكا ...

– نعم ... ميول يسارية غير واضحة أو ثابتة مثل كثيرين غيره ...قام ببعض الأعمال ذات الطبيعة الخاصة قبل الحرب ، التقى "بمانهايم " بعد هربه من ألمانيا وعمل مساعداً له ثم تزوج ابنته فى النهاية ، وأخيراً توصل إلى اكتشافه المثير بتفتيت الذرة وحقق شهرة طاغية وأصبح من أشهر العلماء فى العالم ...

عقب الزواج توفيت زوجته ابنة العالم " مانهايم " فحزن عليها حزناً شديداً ثم جاء إلى انجلترا وعمل فيها لمدة ثمانية عشر شهراً ، ومنذ حوالى سنه تزوج للمرة الثانية ...

قال " هوراتون " :

– ماذا نعرف عن زوجته هذه ؟

–لانعرف الكثير .. انها ابنة محام وكانت تعمل فى إحدى شركات

التأمين ولا توجد لها اية ميول سياسية أو نشاطات حزبية ...

– أظنه كان يعمل فى منطقة " هارويل " .. فماذا يقولون عنه ؟

– يقولون انه يتمتع بشخصية لطيفة ، وقد أدخل بعض التعديلات على جهاز تفتيت الذرة ...

وبعد صمت فقد قال " هوراتون " :

– من الطبيعى انه خضع للمراقبه الدقيقه منذ أن وطئت قدماه انجلترا؟

– نعم ، ولم نجد ما يثير القلق .

– لا شك أنه ضاق بهذه المراقبة الدائمة المتواصلة ليل نهار ... ان إجراءات الأمن تحطم الأعصاب وتبعث فى النفس رغبة قوية على الهروب ...

نعم ان وجود الإنسان تحت المراقبة يدفعه أحيانا للقيام بتصرفات شاذة لا يتوقعها أحد ...

ربما تراءت له بعض الأحلام الوردية فى التوصل الى عالم مثالى يسوده السلام ويخلو من الحروب والصراعات وتتعاون فيه الدول على حل المشاكل الصعبة والوصول إلى صيغة مثلى للتعايش ، وعندما يصل إلى هذه الدرجة يكون من السهل أن يسيطر عليه من يريدون السيطرة على العالم وتدمير البشرية تحت هذه الدعاوى البراقة والشعارات الجذابة التى تخدع عقول الأغبياء .

– معك حق .. ولذلك يجب أن نعرف كل شئ عن " بيترتون " حتى الأشياء الصغيرة التى يظنها البعض تافهة مثل الأشياء التى تسعده وتلك التى

تجعله حزيناً مكتئباً .. نوعية الأشخاص الذين يميل إليهم وأولئك الذين يثيرون غضبه وغيرها من الأشياء البسيطة التى تكشف لنا عن طبيعة شخصيته ومفاتيحها ...

قال الكولونيل " هوراثون " :

– ماذا عن زوجته .. هل قمت باستجوابها ؟

– بالطبع .. لقد استجوبتها عدة مرات .. – وهل حصلت منها على شئ ذى قيمة ؟

– لاشئ حتى الآن .. إننى واثق انها تعرف بعض الأشياء رغم أنها لم تذكرها .... أى شئ سيكون له قيمة بالنسبة لنا ... مثلاً ملاحظتهاالزوجها فى الفترة الأخيرة وهل كان يبدو مكتئباً أو حزيناً .. هل تعرض لضغوط ما من أى جهة ...

وهى تعتقد أن زوجها قد تم اختطافه !!

– هل صدقتها ؟

– اننى كما تعلم لا أصدق تلك الأشياء بسهولة ...

قال " هوراثون " :

–ان الأمر يحتاج لمزيد من التحريات والبحث .. ولكن ما رأيك فى زوجته؟

– مجرد زوجة عادية تماماً من هذا النوع الذى تقابله فى الأندية ...

– إن هذا يجعل مهمتنا أكثر صعوبة ......إنها تنتظر بالخارج الآن

حتى أسمح لها بمقابلتى .. سوف أعيد استجوابها ...

قال الكولونيل " هوراتون " :

- لا داعى لوجودى معك الآن فلا يوجد شئ جديد نناقشه ...

- معك حق ... ولكننى أرجو أن تدرس التقرير الوارد من وارسو بعناية وتجرى المزيد من التحريات عن المعلومات التى به فربما كانت تمثل بداية طيبة لنا ...

- أتمنى ذلك ..

ثم غادر الغرفة واستدعى مستر " جيسوب " مسز " بيترتون " ....

***

كانت مسز " بيترتون " إمرأة طويلة القامة تناهز السابعة والعشرين من عمرها شعرها أحمر اللون جميل الشكل ...

تأملها الرجل فوجد أن وجهها يخلو من كل آثار الماكياج مما أثار انتباهه وجعله يتخيل أنها تحاول إخفاء شئ ما ...

فمن واقع خبرته الطويلة فى هذا العمل تعلم ان المرأة مهما اشتد حزنها لاتهمل زينتها حتى لا يبدو شكلها دميما منفراً بشعاً فتحاول التغلب على ما أفسده الحزن باستعمال الماكياج ، أما تلك التى تهمل زينتها فلا شك انها تريد الايحاء للجميع بأنها حزينة مهمومة لا تجد فرصة للعناية بنفسها ...

رحب بها مستر " جيسوب " ودعاها للجلوس فقالت بلهفة :

- أرجو أن يكون لديك أخبار عن زوجى يامستر " جيسوب " ....

– للأسف الأنباء التى لدى ليست واضحة كما ذكرت لك فى رسالتى التى دعوتك فيها للحضور إلى المكتب ....

– أعلم ذلك يا سيدى .. ولكننى كنت أتمنى أن تكون هناك أحداث لا حقة وقعت بعد أن أرسلت إلى الرسالة ، ورغم ذلك فإن الحضور إلى هنا يسعدنى ويجدد الأمل فى نفسى ، لأن البقاء في البيت يثير أحزانى ويجعلنى أتعذب فى كل لحظة ...

قال مستر " جيسوب " :

– أننى أسف لأننى مضطر لإعادة الحديث حول زوجك مستر " بيترتون " مرة أخرى .. ان كل كلمة أو إشارة قد تكون هى مفتاح اللغز ، وربما نسيت شيئاً خلال المرات السابقة ويمكن أن تتذكريه الآن ...

– إننى تحت أمرك يا سيدى .. يمكنك إلقاء ما تشاء من أسئلة ...

– رأيت زوجك لآخر مرة فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس ؟

– نعم ...

– وقال انه سوف يغادر انجلترا ويذهب إلى باريس لحضور أحد المؤتمرات ؟

– نعم .....

– وبالفعل سافر زوجك إلى باريس وحضر جلسات المؤتمر خلال اليومين الأولين فقط ، وفى اليوم الثالث لم يحضر الجلسة وذكر لأحد زملائه أنه سوف يذهب فى رحلة نهرية عبر نهر السين ....

– ماذا تقول ؟ رحلة نهرية !!

– هذا ما علمناه قال إنه سيذهب فى رحلة نهرية فى أحد القوارب التى تعمل بهذا الغرض فى نهر السين أخذ مستر جيسوب يتفرس فى وجهها وهو يقول :

– يبدو انك دهشت لهذا التصرف من قبل زوجك ؟

قالت بعد أن ترددت قليلاً :

–ان هذا يدهشنى بالفعل لأنه كان شديد الاهتمام بحضور المؤتمر وكان يعلق عليه أهمية كبيرة ....

–ربما ، ولكن موضوع جلسة ذلك اليوم لم يكن يهمه كثيراً وربما فضل النزهة على الذهاب إليها حتى يحصل على بعض الراحة .. ولكن الغريب أن يهتم زوجك بالرحلات فجأة ...

– نعم ...

قال " جيسوب " :

– وقد اختفى زوجك فى تلك الليلة ، فلم يعد إلى الفندق ، كما أنه لم يعبر الحدود بطريقة عادية أى باستخدام جواز سفره ...

هل يمكن أن يكون لديه جواز سفر باسم مستعار ؟

قالت على الفور :

– كلا ... ولماذا يفعل ذلك ؟

– هناك أسباب كثيرة ، ولكن ألم تلاحظى مثل هذا الجواز فى أمتعته يوماً ؟

– كلا يا سيدى – ان هذا مستحيل ولا يمكن أن يفعل زوجى ذلك ، كيف تتصور أنه يغادر باريس سراً بهذه الطريقة العجيبة ؟ من المؤكد أن حادثاً ما قد وقع له ... وربما فقد ذاكرته .....

– فى الفترة الأخيرة هل كان يتمتع بصحة جيدة ؟

– نعم ... كانت حالته عادية تماماً رغم أنه كان يرهق نفسه فى العمل إلا أنه لم يعان أكثر من الإرهاق ...

– هل بدا عليه القلق أو الأكتئاب مثلاً ؟ ...

– كلا ... كان يبدو طبيعياً تماماً ...

ارتعدت أصابعها وهى تفتح حقيبتها وتتناول منديلها لتضعه على وجهها ثم قالت بصوت متهدج :

– ياله من أمر فظيع ياسيدى ...أننى لا أكاد أصدق كل هذا ... انه كابوس فظيع .. لا يمكن أن يغادر باريس بدون أن يخطرنى ...ان هذا مستحيل وأخشى أن يكون قد تم أختطافه أو وقع عليه اعتداء ... ياإلهى... هل يمكن أن يكون قد قتل !!

– أرجو أن تهدئى تماماً يا مسز " بيترتون " ولا تجعلى الأفكار السوداء تسيطر عليك ..

ولا شك أنه ما زال على قيد الحياة لأن جثته لم تظهر ...

قالت بجزع :

– ليس من الضرورى أن تظهر جثته ، فقد يكونوا قد ألقوه فى أحد الأنهار وأثقلوا جثته بالحجارة حتى لا تظهر ... ان هذا يحدث كثيراً ، وهناك عشرات الوسائل للتخلص من الجثث ...

– لا تكونى متشائمة إلى هذا الحد يا سيدتى ...

رفعت مسز" بيترتون" المنديل عن عينيها وقالت بغضب :

–سيدى ... اننى أعرف تماماً ما تفكر فيه ، ولكننى أؤكد لك أن زوجى لا يمكن أن يبيع ما لديه من أسرار خطيرة بكنوز الدنيا .. انه لم يكن شيوعياً او يمينياً متطرفاً ... إنه كان يمقت الفريقين ولايمكن أن يتعامل معهم ....

انتهز " جيسوب " الفرصة وقال :

– وما هى ميوله السياسية ؟

– كان دائماً معتدلاً سواء فى أمريكا أم هنا فى انجلترا .. وهو فى جميع الأحوال لا يهتم بالسياسة على الأطلاق ...

ثم قالت بلهجة تنطوى على التحدى :

– زوجى كان عالماً فذاً مرموقاً .. عالماً يشار إليه بالبنان .. وهذا أهم شئ ...

قال " جيسوب " :

– معك حق ... وتلك هى المشكلة .. فمن ضمن الاحتمالات القائمة ان هناك من عرض عليه مبلغاً ضخما ليغادر البلاد ويعمل فى منطقة أخرى ...

ظهر الغضب واضحاً على وجهها ثم قالت بانفعال :

– ان هذا غير صحيح بالمرة يا سيدى ... إنها الاشاعات الصحفية الكاذبة وهى أيضاً أفكاركم التى تحاولون إقناعى بها ولكنها غير صحيحة .. أؤكد لك أنها غير صحيحة .. لا يمكن لزوجى أن يرحل أو يتخذ هذا القرار الخطير بدون أن يخطرنى .. ان هذا مستحيل ...

– أرجو أن تحاولى تذكر كل ما قاله لك خلال الأيام الأخيرة .. ألم يتحدث عن شئ عن الرحيل مثلاً أو عن العمل فى مكان آخر ؟

أخذ يراقبها بعناية ويدرس انفعالاتها ...

أجابت قائلة :

– كلا ... لم يتحدث عن شئ أبداً .. ولا أعرف الآن عنه آيه معلومات .. أشعر بأنه قتل أو تم اختطافه ...

– ثقى تماماً يا مسز " بيترتون " إننا نبذل أقصى ما في وسعنا للعثور عليه ومعرفة الحقيقة ، إن عملاءنا يرسلون إلينا بالتقارير من جميع المناطق

قالت بحدة :

– ماذا تحتوى عليه هذه التقارير ؟

– اننا مازلنا ندرسها لنعرف حقيقة ما ورد بها فهى غير واضحة بدرجة كافية ...

قالت بلهجة تنطوى على اليأس :

– أرجو أن تذكر لى بعضاً مما ورد فى هذه التقارير ياسيدى .. انني

أكاد أختنق ....

قال " جيسوب " :

– ان مهمتى الآن هى وضع صورة واضحة لزوجك أمامى حتى يمكننى العمل بطريقة صحيحة ..

أريد أن أعرف أى نوع من الرجال هو ويجب أن تساعدينى فى ذلك بقدر استطاعتك ...

– لقد قلت لك كل ما أعرف وليس لدى المزيد ...

– أريد منك موقفاً أكثر إيجابيه .. لا أريد إجابات بنعم أولا .. ولكن أريد تحليلاً لشخصية زوجك ومحاولات للنفاذ إلى دخيلة نفسه .. أيد أن أعرف أى نوع من الرجال هو ...

وبعد قليل من التفكير قالت :

– حسناًإن زوجى رجل يميل إلى المرح.. طيب القلب كما كان بارعا فى عمله

قال جيسوب ضاحكا : أريد أوصافاً أكثر خصوصية .. ان كل ما ذكرته يعتبر أوصافاً عامة تنطبق على ملايين البشر ..

سوف أوجه إليك أسئلة أكثر دقة .. هل هو يحب المطالعة ؟

– للغاية .. إنه مولع بالقراءة ..

– ماذا يقرأ ؟

– سير حياة المشاهير .. كتب الاجتماع .. أحياناً القصص البوليسية

وقصص الجريمة ...

– أي انه يعتبر قارئاً تقليدياً .. هل يلعب الورق أو الشطرنج ؟

– يلعب البريدج ، ودائماً ما نلتقى بالدكتور " ايفانز " وزوجته لنلعب سوياً

– هل يوجد له أصدقاء كثيرون ...

– نعم .. انه رجل اجتماعى لا يحب العزلة ويحرص على الاختلاط والحياة الاجتماعية ...

– هل له اصدقاء قريبون ...

– واحد أو أثنان من الجيران يلعب معهم الجولف .

– ألا يوجد له أصدقاء قدامى مثلاً ؟

– كلا .... فقد ولد فى كندا ثم رحل إلى الولايات المتحدة وقضى بها سنوات طويلة ثم جاء إلى هنا ولذلك فليس له أصدقاء فى انجلترا ... نظر "جيسوب " فى ورقة على مكتبة ثم قال :

– أمامى تقرير عن بعض الأشخاص الذين قاموا بزيارة زوجك .. خلال الأيام الأخيرة زاره ثلاثة أشخاص من الولايات المتحدة وهى المرة الأولى التى يزوره فيها أجانب ، ولذلك فنحن نهتم بأمرهم الأول هو والتر جريف الذى زاركم فى هارويل ...

– نعم .. لقد زارناهذا الرجل فى هارويل ...

– ماذا كان رد الفعل لدى زوجك وقتها ؟

– دهش فى البداية ، ولكنه كان سعيداً للغاية لأنه كان من أصدقائه المقربين فى الولايات المتحدة ...

– ما رأيك فى " جريفيث " يامسز "بيترتون " .

– من المؤكد انكم تعرفون عنه أكثر ما أعرف ....

... بالطبع فنحن نعرف عنه الكثير ولكن هذا لا يمنع من معرفة رأيك فيه ...

أطرقت قليلاً ثم قالت :

– انه رجل جاد للغاية يجعلك تشعر بالملل ، عاملنى بتحفظ شديد وحرص على أن يكون مهذباً للغاية ومجاملاً ، ويبدو أنه كان يكن لزوجى حباً كبيراً ويرغب فى أن يحدثه عن الكثير مما حدث فى الولايات المتحدة منذ أن غادرها زوجى " توم " إلى انجلترا .. كانت كلها أحاديث حول أحداث محلية وأشخاص لا أعرف عنهم شيئاً ثم نهضت لأعداد العشاء وتركتهما يواصلان الحديث .. ويستعيدان الذكريات ...

– هل تحدثا فى السياسة ؟

احمر وجهها وقالت :

– يبو أنك تريد معرفة حقيقة ميول " جريفيث " .. هل هو شيوعى أم يمينى متطرف ... أننى واثقة تماماً انه رجل معتدل ، وأظن انه يعمل فى مكتب النائب العام ...

– حسناً ... ننتقل الآن إلى الزائر الثانى من الأجانب ... إنه الدكتور «ماك لوكاس »...

لقد زاركم فى فندق دورسيت ...

– نعم ... لقد التقينا بهذا الرجل فجأه بعد أن خرجنا من المسرح .. وهذا الرجل عالم كيميائى وقد التقى بزوجى فى الولايات المتحدة ، ومن المؤكد أنك تعرف انه ألمانى الأصل لجأ إلى الولايات المتحدة ، وحصل على الجنسية الأمريكية ....

– نعم ... هل دهش زوجك " توم " لرؤية الرجل ؟

قالت على الفور :

– نعم ... دهش للغاية ...

– هل شعر بالسرور للقائه ؟

وبعد تردد قالت :

– اه ... نعم ... أعتقد ذلك ...

– يبدو إنك غير متأكد من هذه الإجابة ..أليس كذلك ؟

– ربما ، فقد أخبرنى " توم " بعد ذلك أن الرجل ليس من أصدقائه المقربين وأنه لا يهتم به كثيراً ....

– ترى هل تم اللقاء صدفة حقاً أم انه تم وفقاً لتخطيط سابق ؟

– أعتقد أنه حدث بالصدفة ..

قال " جيسوب " :

– والزائرة الثالثة كانت سيدة تدعى مسز " كـا ل سبيدر " وهى أمريكية أيضاً .. فأرجو ان أعرف منك تفاصيل تلك المقابلة ...

قالت مسز " بيترتون " :

- كانت موظفة بالأمم المتحدة وتعرفت بـ "بتوم " أثناء إقامته بأمريكا .. وعندما وصلت إلى انجلترا اتصلت به تليفونياً وطلبت منه تحديد موعد لتناول معه الغداء ولكننا رفضنا دعوتها ...

قال " جيسوب " بلهجة طبيعية :

- تقصدين انك لم تلبى الدعوة وان زوجك هو الذى ذهب بمفرده ؟

حملقت فيه بدهشة وقالت :

- ماذا تقول ؟

شعر " جيسوب " بأنها خدعت فقال لها :

- ألم يخبرك مستر " بيترتون " بأنه ذهب لزيارة مسز " كارول سبيدر " ؟

- كلا ...

شعر الرجل بالحزن من أجلها وهى تبدو قلقة ومرتبكة ثم قالت :

- لست أدرى لماذا لم يحدثنى بذلك ؟ ان هذا شئ غريب ...

- فى يوم الأربعاء الموافق الثانى عشر من أغسطس تناول معها الغذاء بفندق دور سيت حيث كانت تقيم ...

رددت قوله :

- الأربعاء الموافق الثانى عشر من أغسطس !!!

فى هذا اليوم قال إنه سيذهب الى لندن ولكنه عندما عاد لم يتحدث عن

زيارته لها .. ترى ما شكل هذه المرأة ؟

أدرك مسز " جيسوب " أنها تفكر كأنثى تغار على زوجها فقال :

– إنها إمراة عادية تماماً لا يوجد فيها ما يجذب الرجال ، فى الثلاثين من عمرها ، يبدو عليها الإرهاق من كثرة العمل ، ولا يوجد أى دليل على أنها صديقة حميمة لزوجك وهذا ما يدعو إلي التعجب ...

فلماذا أخفى عنك أمر زيارته لها ؟ !

أرجو ان تعودى بذاكرتك إلى هذا اليوم يا مسز " بيترتون " وتتذكرى كل ما حدث بالتفصيل .. هل لا حظت أى تغير فى سلوك زوجك ؟

– كلا على الإطلاق .. كان يتصرف بطريقة عادية للغاية ولم ألاحظ عليه أدنى تغيير وفى هذه اللحظة رن جرس التليفون فالتقط " جيسوب " السماعة وسمع السكرتير يقول :

– يوجد رجل يريد أن يقابلك بخصوص موضوع مستر " بيترتون " ...

– ما اسمه ...

فدون الاسم فى ورقة أمامه وسأله :

– هل هو بولندى ؟

– لا أدرى .. إنه يتكلم الانجليزية بلكنة أجنبية ولكنه يتكلم بطلاقة ...

– سوف أقابله بعد قليل .. وبعد أن انتهى من المكالمة دفع بالورقة إلى مسز " بيترتون " وسألها قائلاً :

- هل تعرفين صاحب هذا الأسم ؟

وما أن طالعت الاسم حتى انقلبت سحنتها وبدا عليها شئ من القلق والخوف للحظات قصيرة ..

ثم قالت :

- نعم ... نعم أعرفه .. لقد وصلنى منه خطاب بالأمس فقط .. إنه ابن خالة زوجة " توم " الراحلة ، وقد وصل الي انجلترا منذ فترة قصيرة وأظهر اهتماماً شديداً بموضوع اختفاء " توم ، وسألنى في رسالته عن معلوماتى عن هذا الموضوع وعما إذا كانت هناك أنباء عنه ...

- ألم يحدثك زوجك عنه من قبل ؟ وهل سبق لك رؤيته ؟

- كلا .. ولم يسبق لى رؤيته فى أى مكان ...

- هناك احتمال أن يكون منتحلاً لتلك الشخصية ....

- لم يخطر هذا ببالى .. كانت الزوجة الأولى لـ " توم " ابنة للبروفسير "مانهايم" وهو اجنبى كما تعلم ومن خلال الخطاب أدركت ان هذا الرجل يعرف كل شئ عن توم وزوجته السابقة .. ولكن لماذا يدعى إنه قريب زوجة " توم" السابقة ؟

- إنك تسألين نفس الأسئلة التى نسألها لأنفسنا فى كل لحظة .. لماذا ؟ وما الهدف من وراء ذلك ؟ اننا إذا عرفنا الإجابة عن هذه الأسئلة سوف نعرف أين هو توم ...

قالت مسز " بيترتون " :

– لقد ضقت ذرعاً بهذا الوضع وأصابني الملل ، إن أصعب شئ أن يكون كل عملك هو الانتظار .. أريد أن أسافر إلى الخارج من أجل التغيير والترفيه عن نفسي قليلاً .. إنني أكاد أختنق هنا وأنهار تماماً .. نعم سوف تنهار أعصابي حتماً إذا بقيت هنا ، وقد أشار على الطبيب بضرورة السفر لمدة أسابيع من أجل إراحة أعصابي .. ها هو خطاب الطبيب ...

طالع " جيسوب " الخطاب ثم أعاده إليها فسألته قائلة :

– هل يسمح لي بالسفر الآن ؟

قال لها بدهشة :

– لا يوجد أي مانع في سفرك على الإطلاق يا مسز "بيترتون " ...

– كنت أظن انكم سوف تعترضون على ذلك ...

– كلا .. اننا فقط نريد أن نعرف إلى أين سترحلين حتى يمكننا الاتصال بك إذا وردتنا أية أنباء عن زوجك ...

– سوف أسافر إلى أسبانيا أو المغرب لأستمتع بالشمس المشرقة ..

– أتمنى لك رحله سعيدة ...

وعندما انصرفت كانت علامات القلق والأضطراب واضحة على وجهها ...

***

بعد انصراف مسز " أوليف بيترتون " استدعى " جيسوب " الزائر الأجنبي الذى صافح الرجل وقدم نفسه اليه قائلاً :

– أنا الميجور " جلايدر " ومعى خطاب من السفارة الأمريكية ...

تناول " جيسوب الخطاب وطالعه بسرعه ثم وضعه أمامه وسأله ...

– هل يمكننى أن أقوم لك بأى خدمة ياميجور ؟

– لقد جئت من الولايات المتحدة مباشرة وعلمت بنبأ الاختفاء المثير لـ"توماس بيترتون " ولكن المرء لا يستطيع تصديق كل ما تذكره الصحف ، فجئت إليك لأعرف الحقيقة حيث يقال إنك أنت الوحيد الذى لدية معلومات صحيحة ..

قال جيسوب :

– للأسف ليست لى معلومات أكيدة عن "بيترتون " حتى الآن ...

– لقد ظننت أنه مكلف بمهمة ذات طبيعة خاصة فى الخارج .. أقصد مهمة سرية ...

قال " جيسوب " بهدوء :

– ان " بيترتون " عالم وليس عميلا سريا أو دبلوماسيا حتى يتم تكليفه بمهمه سرية .. – لا يوجد أى مانع من ذلك يا سيدى لا شك انك تتساءل الأن عن سر اهتمامى بـ " توماس بيترتون " .. وأقول لك ان هناك صلة قرابة بيننا عن طريق الزواج ...

–أظن انك ابن أخت البروفسير " مانهايم " .. أليس كذلك ؟

– وكيف عرفتم ؟ اننى لم أصل إلى هنا الا منذ وقت قصير !

ابتسم " جيسوب " وهو يقول :

-لقد عرفت ذلك منذ دقائق عن طريق الصدفة .. كانت مسز " بيترتون " هنا فسألتها عنك وقالت انها تلقت منك رسالة ...

- نعم .. كنت أريد أن أساعدها وأقف بجوارها وأعرف أخر الأنباء ..

كانت والدتي هي الأخت الوحيدة للبروفسير " مانهايم " وكانت العلاقة بينهما قوية للغاية ، وخلال طفولتي كنت أقضي معظم الأوقات في بيت خالي وألعب مع ابنته " الزا " ، وبعد وفاة أبي انتقلنا للإقامة في بيت خالي بصورة دائمة وقضيت أجمل أيام حياتي ، عندما اندلعت الحرب هرب خالي إلى أمريكا واصطحب معه ابنته " الزا " بينما بقيت أنا في بولندا والتحقت بالمقاومة السرية ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها سافرت إلى خالي وابنته في أمريكا ..

وبعد ذلك قررت تصفية أعمالي في أوربا والإقامة في الولايات المتحدة بصورة دائمة حتى أعيش بالقرب من خالي وابنته وزوجها ، ولكن من سوء حظي أن خالي توفي في حادث سيارة بمجرد وصولي إلى أمريكا وبعد ذلك توفيت " الزا " ابنته ورحل " توماس بيترتون " إلى انجلترا وعلمت أنه تزوج للمرة الثانية .. وهكذا أصبحت أنا وحيداً بلا أسرة .....

وطالعت في الصحف نبأ اختفاء العالم " بيترتون " وعلى الفور حضرت إلى انجلترا للوقوف بجانب زوجتة وتقديم أي مساعة ممكنه ..

أريد أن أعرف يا مستر " جيسوب " لماذا اختفى " بيترتون " ؟

قال " جيسوب " :

– ليتنى أعرف .....

– من المؤكد أنك تحصر الشبهات فى أشياء معينة ..

– هذا شئ طبيعى ، ولكن اختفاء " بيترتون " ليس هو الحادث الأول من هذا النوع ...

– نعم .. لقد قرأت كثيراً عن حوادث اختفاء مماثلة وغامضة ...

ثم عدد " جلايدر " بعض الحوادث المشابهة خلال الفترة الأخيرة وقال :

– ومن العجيب أن كل الذين اختفوا كانوا من العلماء !

لم يعقب " جيسوب " فقال الرجل :

– ترى هل اختطفهم الشيوعيون ...

– هذا احتمال ، وقد يكون ذلك بفعل إحدى الجماعات اليمينية المتطرفة والتى تعمل بطريقة سرية ، وهناك احتمال آخر هو أنهم شعروا بالملل من عملهم فسافروا إلى جهات غير معلومة ..

قال جلايدر بخبث :

– ولكنهم ذهبوا بإرادتهم طبعاً !

– من الصعب الإجابة على هذا السؤال .. ولكن ما هو سر اهتمامك الشديد وغير العادى بـ " توماس بيترتون " رغم انه كان زوج أختك الراحلة ، كما أنك لم تلتق به فى حياتك ؟ !

– اننا معشر البولنديين نقدس الروابط الأسرية إلى حد لا تتصوره ، وهذه الروابط تفرض علينا التزامات قوية للغاية ...

ثم نهض " جلايدر " وقال بجفاء :

– اننى آسف لإضاعة وقتك يامستر " جيسوب " وأشكرك على مقابلتى ..

قال " جيسوب " :

– كنت أتمنى أن أقدم إليك أى مساعدة ولكننى بالفعل لا أعرف أى معلومات مؤكدة ، وأرجو أن تترك لى عنوانك حتى أتصل بك إذا ما وصلتنى أية معلومات ....

– يمكنك الاتصال بى فى السفارة الأمريكية ... ثم حياه وانصرف ...

بعد انصرافه اتصل " جيسوب " بالكولونيل " هوراتون " فى مكتبه وقال له :إن الأحداث بدأت تتصاعد .. لقد طلبت مسز " بيترتون " السماح لها بالسفر للخارج ...

– ترى هل تنوى اللحاق بزوجها فى مكان ما ؟

– أتمنى ذلك ... كان معها تقرير طبى ينصح بالسفر إلى الخارج للاستجمام .. يمكن أن يكون الأمر حيلة منها ويمكن أن تكون أعصابها مرهقة فعلاً ..

– وهل تمكنت من معرفة أى معلومات منها ؟

– شئ واحد فقط وهو أن زوجها أخفى عنها زيارته للأمريكية مسز "سبيدر " ....

– ترى هل توجد علاقة بين تلك المقابلة وبين اختفائه ...

– هذا جائز بالطبع ، فكما تعلم فقد تم استجواب مسز " سبيدر" أمام

إحدى اللجان فى الولايات المتحدة ولكن ثبتت براءتها ...

– هل تلقت مسز " بيترتون " أى تعليمات من الخارج بالسفر ؟

– لم يتصل بها أحد أو يزورها فى بيتها ، وبالأمس وصلتهار سالة من رجل بولندى وهو ابن خالة الزوجة الأولى لـ " توماس بيترتون " ، ومنذ قليل كان هذا الرجل بمكتبى يسأل عن " توماس " .....

– هل يمكن أن يكون هو الذى طلب منها السفر للخارج ؟ لابد من وضعه تحت المراقبة ...

– لقد فعلت هذا حيث ضغطت علي الجرس السرى مرتين بعد انصرافه.

– إلى أين تريد مسز " بيترتون " السفر ؟

– إلى أسبانيا أو المغرب .. ليتنى أستطيع الحصول علي اجازة أنا أيضاً ..

– وتذهب إلى أسبانيا والمغرب !!

***

# الفصل الثانى

كانت مذيعة مطار هيثرو بلندن تعلن عن قيام الرحلة رقم ١٠٨ إلى باريس نهض المسافرون المتجهون إلى باريس إلى الطائرة التى وقفت على أرض المطار فى انتظار لحظة الاقلاع ...

نهضت " هيلارى كرافن " وحملت حقيبتها الصغيرة الحجم واتجهت إلى جموع المسافرين شعرت بالبرودة تتسلل إلى عظامها بمجرد أن توسطت المطار الفسيح فأحكمت إغلاق المعطف الفراء حول عنقها ...

أخيراً سوف تبتعد عن هذا الجو البارد الكئيب وتترك السماء الغائمة وتذهب إلى الشمس المشرقة والسماءالزرقاء الصافية والحياة الدافئة ... انها تتوق إلى الانطلاق والتحرر من هذه الأثقال والتخلص من القيود التى تكبلها ....

أنهت إجراءات سفرها بسرعة ثم صعدت إلى الطائرة وجلست فى المقعد المخصص لها ... استرخت تماماً فى المقعد وشعرت بالراحةلأول مرة منذ فترة طويلة ....

قالت لنفسها :

- أخيراً سوف ابتعد .. سأهرب من كل هذا العذاب.. لماذا تأخرت الطائرة فى الإقلاع ...

ماذا لو حدث ما يعطل الرحلة ؟

طردت عن نفسها هذه الوساوس وأخيراً سمعت صوت هدير المحركات فقالت :

- سوف يتحقق الحلم أخيراً ...

وبدأت الطائرة تنطلق بسرعة متزايدة بينما شد جميع المسافرين أحزمة الأمان ...

وبعد أن دارت الطائرة نصف دورة مكثت قليلاً فى انتظار الإشارة المتفق عليها للإقلاع فعاود "هيلارى" الشعور بالقلق وقالت لنفسها :

- هل يمكن أن تتحطم الطائرة ؟ لا بأس أيضاً بهذا الحل .. ان هذا ينهى جميع المشاكل بطريقة رائعة ...

كانت لحظات الانتظار شاقة للغاية عليها وتخيلت أنها أمضت دهراً تنتظر الإقلاع .....

قالت تخاطب نفسها :

- من الواضح انني لن أرحل من هنا .. يبدو أنه كتب على أن أعيش فى هذا العذاب إلى أن تأتى النهاية ...

ولكن المحركات بدأت تهدر مرة أخرى وانطلقت الطائرة بسرعة فوق الممر ثم بدأت ترتفع تدريجياً ...

قالت هيلارى : ترى هل يحدث ما يعطل الطيران ؟ هل ترتطم الطائرة بشئ ؟

ولكن الطائرة أقلعت بسلام ورأت " هيلارى " كل شئ على الأرض يتضاءل أمام ناظريها حتى صارت المبانى الضخمة تبدو كنقطة صغيرة للغاية ، كما تضاءلت همومها و أحزانها أيضاً ... وشعرت أنها تحلق فوق قمة العالم .

بعد قليل وجدت قطعاً كبيرة من السحب الفضية أسفل الطائرة فأدركت أنها تحلق فوق بحر المانش ...

أغلقت عينيها واسترخت تماماً ..

أخيراً غادرت انجلترا ولن تعود إليها ... تركت " ناجيل "

وابتعدت تماماً عن تلك المنطقة الحزينة التى تضم قبر " بريندا " ....

كانت تريد أن تبتعد عن كل ذلك بسرعة ...

وسرعان ما غلبها النعاس ...

***

أفاقت " هيلارى " وهى تشعر بهبوط الطائرة ... قالت لنفسها :

أخيراً وصلت الطائرة إلى باريس .

شعرت بالفرحة الطاغية فحملت حقيبتها نهضت من مقعدها فرحة ونزلت إلي أرض المطار لتستقل السيارة ... ولكن ... ماهذا ؟ !

إن هذه ليست باريس !! إنها تعرف باريس جيداً ولا يمكن أن تكون هذه هى باريس ترى ماذا حدث ؟

جاءت المضيفة إلى سيارة الاتوبيس وقالت :

– نظراً لكثافة الضباب فى باريس وتعذر الهبوط هناك فقد هبطنا مضطرين هنا فى " بوفيه " ...

انطلقت سيارة الاتوبيس خلال الضباب الذى كان يكتنف المنطقة وحاولت " هيلارى " أن ترى أى شئ دون جدوى ، فقد كان الضباب كثيفاً ....

بعد قليل توقفت السيارة أمام مبنى خشبى متهالك لاتوجد به إلا عدة مقاعد خشبية قديمة ...

شعرت " هيلارى " بالانقباض الشديد وهى ترى هذا المنظر .. إنه منظر يثير الضيق والاكتئاب وسمعت الرجل الذى يجلس إلى جوارها يقول :

– من الواضح ان هذا مطار حربى قديم لا توجد به أية وسائل للتدفئة أو الراحة ، ولكن الفرنسيين كرماء لن يبخلوا علينا بالطعام والشراب ...

وبعد قليل جاءت زجاجات الشراب ...

خلال الساعات التالية كانت الطائرات تتوافد علي مطار بوفيه وتكدس الركاب فى هذه الاستراحة الرديئة وبدأ التذمر وتعالت صيحات الغضب وساد الجميع شعور بالقلق لتأخرهم عن أعمالهم ....

وفى المساء جاءت سيارات الأتوبيس لتنقل المسافرين إلى باريس عبر الطريق البرى ، كانت رحلة شاقة فى ظروف سيئة حيث انحشر عدد كبير

من المسافرين فى كل سيارة فى رحلة استغرقت حوالى أربع ساعات وصلوا فى نهايتها الي باريس وكاد الليل ينتصف وتنفس الجميع الصعداء ...

شعرت " هيلارى " بالسعادة الطاغية وهى تصل إلى باريس بعد هذه الرحلة الشاقة والمعاناة الشديدة .. حملت حقيبتها وأشارت إلي سيارة أجرة وأمرت السائق أن يذهب إلى الفندق التى حجزت إحدى غرفه لقضاء الليلة .

نامت نوماً عميقاً بعد أن تناولت العشاء وحصلت علي حمام ساخن ...

فى صباح اليوم التالى ذهبت إلى مطار أورلى بباريس حيث كان مقرراً أن تستقل الطائرة المتجهة إلى مطار كازابلانكا بالمغرب فى العاشرة والنصف ، ولكنها وجدت المطار فى حالة سيئة للغاية .. فوضي وارتباك وصراخ ...

الجميع يروحون ويغدون بعصبية ومسافرون يصرخون بمختلف اللغات وقد بدت علامات الغضب الشديد علي وجوههم ...

الطائرات متكدسة على أرض المطار وكل شئ مكدس بلا نظام ..

ارتبكت كل مواعيد الطائرات بسبب الضباب وعندما سألت هيلارى موظف الاستعلامات عن طائراتها قال :

– لا يوجد أى مقعد خال على الطائرة التى سبق لك الحجز فيها ، وعليك الانتظار فى الاستراحة حتى يخلو أحد المقاعد فى طائرة أخرى ..

لم تجد أمامها سبيلاً سوى الانتظار ... لقد انتظرت طويلاً خلال الفترة الماضية ولن يضيرها الانتظار ساعات أخرى خاصة وأنها ابتعدت عن انجلترا وأصبحت فى باريس ؛ أصاخت السمع فوجدت اسمها يتردد ...

ذهبت إلى مكتب الاستعلامات فقيل لها ان هناك مقعداً خالياً على الطائرة المتجهة إلى داكار ، ويمكنها الهبوط في كازابلانكا ولكن هذا سيجعلها تتأخر ثلاث ساعات عن موعدها هناك ... اعترضت على ذلك فقال لها الموظف :

– للأسف لاحيلة لى فى الأمر .. هذا أقصى ما يمكن أن نقدمه لك اليوم فى ظل هذه الظروف العصيبة ....

واضطرت للقبول ....

وأخيراً هبطت فى مطار كازابلانكا وهناك أخبرها أحد العاملين بأنها سعيدة الحظ لأن الطائرة الأصلية التى كان من المفروض ان تسافر عليها تحطمت ومات جميع ركابها عدا أربعة أو خمسة نقلوا إلى المستشفى فى حاله سيئة ...

وعلى عكس ما توقع الرجل بدا الحزن على وجه هيلارى وقطبت جبينها غاضبة وهى تقول لنفسها :

–ياالحظ السئ ... لماذا لم أركب هذه الطائرة ؟ ليتنى كنت فيها لانتهى كل شئ ولاسترحت من هذا العذاب إلى الأبد ... لماذا لم أتمسك بمقعدى فى الطائرة ... لماذا ؟ لا شك ان جميع ركابها كانوا متمسكين بالحياة فماتوا ... أما انا فأتمنى الموت ولذلك كتبت لى الحياة ...

انها لا تحلم بأجمل من هذا .. ومن أجل هذا الدفء والجمال رحلت عن انجلترا ... بل انها هربت من تلك الكآبة التى سيطرت عليها هناك .....

بعد لحظات قليلة أصبح المنظر مألوفاً لديها وعادت الكآبة تخيم عليها مرة أخرى .. وأدركت الحقيقة الأليمة .. ان الحزن هنا فى صدرها وليس فى انجلترا .. ان آثار الصدمة الرهيبة لا يمكن أن تمحى من نفسها بسهولة .. فأين المفر ؟

حقاً كان قبر العزيزة " بريندا " هناك فى انجلترا ، و " نايجل " أيضاً سوف يتزوج امرأة أخرى فى انجلترا ، ولكن يمكن أن تنسى كل ذلك هنا بالمغرب ؟

ألا يريد هذا الماضى التعس أن يتخلى عنها ؟ هل سيظل يطاردها بأشباحه المزعجة طويلاً ؟

كيف تنسى ؟

انها الحبوب المنومة ... انبوبة كاملة تبتلعها من هذه الحبوب كفيلة بأن تجعلها تفقد الحياة بدون ألم ...

وعلى الفور اتجهت إلى الصيدلية لشراء هذه الحبوب حتي تستريح من آلامها ...

***

تمنت " هيلارى " الموت فلم تحقق أمنيتها ، مات كل زملائها فى الطائرة الأصلية التى كان يجب أن تركبها وكتبت لها النجاة .. وعندما قررت أن

تسعى إلى الموت وجدت ان الأمر مستحيل بواسطة الحبوب المنومة لقد رفض الطبيب ان يعطيها علبة كامله من الحبوب إلا بواسطة تذكرة طبية ولم يسمح لها الا بحبتين فقط فتناولتهما منه وانصرفت ...

وبينما كانت تغادر الصيدلية كادت تصطدم رجلاً طويل القامة عليه سيماء الوقار فاعتذر لها بالانجليزية بطريقة مهذبة ، وسمعته يسأل الصيدلى عن نوع من معاجين الأسنان ، ولكنها ما كادت تسمع اسم المعجون حتى اعتصر الحزن قلبها ... كان هو نفس النوع الذى يفضله " نايجل " !!

ان كل شئ يعيد إلى ذهنها ذكرى المأساة ...

اتجهت إلى صيدلية قريبة وحصلت على حبتين أخريين من المنوم ليصبح معها أربع حبات ، ولكنها فى الصيدلية الثالثة لمحت نفس الرجل المهذب الوقور يسأل عن المعجون !!

عات إلى الفندق فتناولت طعام العشاء فى قاعة الطعام فوجدت القاعة شبه خالية ولمحت لدهشتها الرجل الوقور مرة أخري جالساً إلى مائدة بعيدة وهو يتناول الطعام وأمامه صحيفة فرنسية يطالعها ...

لم تأبه بشئ وتناولت طعامها بشهية ثم صعدت إلى غرفتها وقررت أن تتناول كل الحبوب المنومة التى ابتاعتها من أربع صيدليات .. لابد أن ينتهى كل شئ فلا سبيل إلى الفرار إلا بالموت .. وضعت الحبات الثمانية على المائدة وأخذت تتأملها قليلاً ...

لم تشعر بالخوف أو التردد لحظة واحدة .. فهى تشعر بأنها ميتة منذ

رحيل "بريندا" ....

إن الأمر في غاية البساطة ... مجرد ابتلاع هذه الحبات ببعض الماء ثم الراحة التامة بعد ذلك ...

أما شعورها الديني فقد توارى بعد أن ماتت " بريندا " .....

لابد أن تسارع بتناول الحبوب قبل أن يعرقل خطتها أى شئ ...

رفعت يدها إلى فمها بالحبة الأولى ولكن فى نفس اللحظة سمعت نقرات خفيفة على باب الغرفة فتجمدت يدها بالحبة فى الهواء ..

لزمت مكانها وظلت تنتظر .. فلا شك أن الطارق سوف يضطر للانصراف فى النهاية إذا لم يجد استجابة ....

ولكن الطاق لم ينصرف بل واصل طرقاته علي الباب بصوت أعلى ..

اتسعت عيناها من فرط الدهشة وهى تري المفتاح يدورفى ثقب الباب ثم يسقط على الأرض محدثاً رنيناً مزعجاً ورأت مقبض الباب يتحرك ببطء ...

وبعد لحظات دخل رجل إلى الغرفة ..

إنه نفسه الرجل الوقور الطويل القامة الذى يجوب الصيدليات باحثاً عن معجون الأسنان .. عقد الرعب لسانها وهى تراه يلتقط المفتاح ثم يغلق الباب بعناية ويعبر الغرفة ويتجة اليها ويجلس علي أحد المقاعد ويقول :

– لاداعى للقلق يا سيدتى .. أننى أدعى "جيسوب " ..

أحمر وجهها من شدة الغضب وقالت بحدة :

– كيف سمحت لنفسك أن تتسلل إلى غرفتى بهذه الطريقة ؟ ماذا تريد ؟
تأملها قليلاً ثم قال :

–إن هذا شئ عجيب .. لقد جئت لكى أسألك ماذا تفعلين هنا ؟

نظرت إليه وقد عقدت الدهشة لسانها ثم قالت أخيراً :

– إننى لا افهم أى شئ ؟ نظرإلى الحبوب المنومة التى وضعتها على المنضدة وقال :

– إن الأمر ليس بهذه البساطة التى تتخيلين .فلن تتناولى الحبوب ثم ينتهى كل شئ بسهولة .. كلا .. إن الذي يحدث عكس ذلك تماماً .. فسوف تعانين من آلام مبرحة وتقلصات رهيبة يصاحبها قئ وتشنجات ، وربما كان جسمك من النوع الذى يقاوم المخدرات وهنا لن يبدأمفعول الحبوب إلا بعد فترة طويلة تنتابك فيها آلام مروعة ولن تتمالكى نفسك من الصراخ فيهرعون إليك وينقلونك إلى المستشفى وتجرى محاولات لإنقاذك ، وهى تتضمن أشياء مؤلمة للغاية مثل غسيل المعدة والمحاليل التى تساعدك على القئ وغيرها من ألوان العذاب التى لا تخطر ببالك ...

ما رأيك ... هل أنت علي استعداد لكل ذلك ؟

تنفست مسز " كرافن " الصعداء ثم استرخت فى مقعدها وابتسمت بمرارة ثم قالت :

– هل ظننت إننى أفكر فى الانتحار ؟ إنها حقاً فكرة سخيفة ....

ضحك الرجل وقال :

– إننى لم أظن .. إننى على يقين أنك قررت الانتحار .. كان الأمر فى غاية البساطة ..

دخلت إلى صيدلية فوجدتك تطلبين الحبوب المنومة بإلحاح ثم دخلت صيدلية غيرها فوجدتك تكررين نفس الطلب مما لفت نظرى وقررت أن أتعقبك لأعرف ماذا ستفعلين و من الطبيعى أن أعرف فيم تفكرين ...

قالت " هيلارى كرافن " بصراحة :

– قد يمكنك الآن أن تمنعنى من الانتحار وتلقى بالحبوب بعيداً ، ولكنك لن تتمكن من ذلك غداً أو بعد غد ، ولن يمكنك أن تلازمنى طيلة الليل والنهار حتى لا ألقى بنفسى أمام سيارة مسرعة أو أقفز من النافذة ...

– هناك شئ هام يحدث من المنتحرين وهو أن الإنسان قلما يكرر محاولة الانتحار بعد أن يفشل فيها لأنه يعود إلى رشده فى اليوم التالى ..

قالت " هيلارى " بلهجة تنطوى على اليأس و الألم :

– لا يحدث هذا إلا إذا كان المنتحر في حالة يأس مفاجئ ، أما فى حالتى فقد استقر عزمى على الانتحار بعد تفكير طويل وبلا أى انفعال .. ما الذى يجعلنى أظل على قيد الحياة يامستر " جيسوب " ؟

لقد انتهى كل شئ ...

كنت أحب زوجى إلى درجة العبادة وأتفانى في الاخلاص له ولكنه هجرنى بطريقة مهينة ، وابنتى الوحيدة التى كانت كل حياتى ماتت بمرض الالتهاب السحائى ، وليس لى أصدقاء أو أقارب ، وليست لى أية هوايات

تشغل ذهنى فلماذا أعيش ؟

وبعد قليل قالت له بحدة :

– هل يمكن الآن أن تتصرف وتدعنى وشأنى يامستر " جيسوب " ؟

– سوف أنصرف ولكن عندما يحين الوقت المناسب .. أننى لم أبدأ حديثى بعد ...

نظرت إليه باستغراب ولكنه استطرد قائلاً :

–لقد علمت انك تكرهين الحياة إلى هذه الدرجة البشعة ولكن لماذا قررت الانتحار بواسطة الحبوب المنومة ؟

قالت بدهشة :

– لست أفهم ماذا تعنى !!

– لقد ذكرت لك منذ قليل ان هذه الوسيلة لا تضمن لك النجاح فى الانتحار و إذا فشلت فسوف تتعرضين لآلام رهيبة تجعلك تندمين ، إما أن تلقى بنفسك أسفل قطار أو من النافذة فذلك لا يضمن لك الموت وقد تصابين بعاهة مستديمة تحيل حياتك إلى جحيم ...

إن هناك طرقا أفضل كثيراً للانتحار وهى مضمونة النجاح ...

– و ما هى ؟

– انها طرق حافلة بالمتعة والآثارة ، حتى إذا نجوت من الموت فستشعرين باللذة والآثارة التى تجعل لحياتك معنى مختلفا تماماً وتجعلك تنسين همومك ...

بدت الجدة على وجهها وسألته :

– إنني لا أفهمك يا مستر " جيسوب " ...

قال وهو ينظر إليها نظرة فاحصة :

– أريد أولاً أن أقص عليك قصة صغيرة حتى تدركي ماذا أقصد فهل أنت مستعدة للاستماع إلي؟

– نعم ....

– من المؤكد أنك قرأت في الصحف ما يقال عن اختفاء بعض العلماء خلال الفترة الأخيرة ، واخر هذه الحوادث هى حادثة اختفاء عالم الذرة الشهير " توماس بيترتون "

قالت :

– نعم لقد طالعت هذه الأنباء وأثارت قلقى ...

– وكما تعلمين إن بلدنا لا تفرض أى قيود على سفر مواطنيها ، ويمكن لمن يشاء منهم أن يرحل إلى أى مكان يشاء ، أما بالنسبة للعلماء فى المجالات الحساسة فلا بد أن نعرف علي الأقل أين ذهبوا ولماذا اختفوا بهذه الصورة المفاجئة ؟

وهل حدث ذلك طواعية أم ان هناك من أجبرهم على الرحيل أو أختطفهم وهل هناك تهديدات تلقوها ؟

وما هو الطريق الذى سافروا من خلاله ؟ وما هى طبيعة المنظمة التى تتولى هذا العمل ؟ وما هو هدفها ؟

ان الأمر على درجة عظيمة من الخطورة ولابد أن نعرف الإجابة على كل هذه الأسئلة وهذا أمر شاق كما ترين ، وبإمكانك مساعدتنا فى هذه المهمة..

هتفت " هيلارى " قائلة :

- أنا ؟ وكيف يمكننى ذلك ؟

قال " جيسوب " :

- لقد اختفى " توماس بيترتون " منذ حوالى شهرين فى مدينة باريس بينما ترك زوجتة فى مدينة لندن ، وبدا على الزوجة الحزن الشديد كما لو كان الأمر يمثل صدمة شديدة زلزلت كيانها ، وأقسمت انها لا تعرف شيئا عن مكانه أو عن ظروف إختفائه ، وربما كانت صادقة ولكننى أعتقد انها كاذبة !!!

ولذلك وضعناها تحت الرقابة الدقيقة ، وقد استدعيتها إلى مكتبى منذ حوالى أسبوعين فقالت ان اعصابها على وشك الانهيار وان الطبيب نصحها بالسفر للخارج حتى تستجم وقدمت إلى تذكرة طبية تتضمن ذلك ، وان هذا ضرورى لها حتى تتجنب كثرة الأسئلة من الصحفيين والمحيطين بها ...

وقد غادرت مسز " بيترتون " انجلترا إلى كازابلانكا بالامس ...

قالت " هيلارى " بضيق :

- وما علاقتى أنا بكل هذا ؟

قال " جيسوب " ضاحكاً :

- إن لك علاقة وثيقة به .. هل تعلمين لماذا ؟

لأن شعرك أحمر مثلها تماماً ...

- أنك تتحدث بالألغاز يامستر " جيسوب " ..

- إن أهم علامة تميز مسز " بيترثون " هو شعرها الأحمر القاتم وهذا ما يميزك أنت كذلك ...

- إنها صدفة عادية تحدث كثيراً ولا أهمية لها ...

- ارتفع صوت " جيسوب " قليلاً وهو يقول :

- كلا ...إن لهذا الموضوع أهمية قصوى .. فقد تحطمت طائرة كازابلانكا التى كانت مسز " بيترتون تستقلها ومات معظم ركابها ، أما هى فقد تم إخراجها من بين حطام الطائرة وتم نقلها إلى المستشفى فى حالة سيئة للغاية ويقول الأطباء إنها لن تعيش إلا ساعات معدودة فقط ...

بدأت عيناها تتألقان لأول مرة بوميض الفهم استطرد " جيسوب " قائلاً :

- سوف تموت غداً على الأكثر، ورغم ذلك فسوف تواصل رحلتها وتصل إلى كازا بلانكا... هل تعلمين لماذا ؟

لأنك أنت ستتقمصين شخصيتها !!

أخذت هيلارى تحملق فيه وهى مشدوهة ...

وأخيراً قالت :

– ولكنهم سيعرفون بسهولة انتى لست مسز " بيترتون " انهم ليسوا أغبياء بالطبع .

– كلا ... ولكن من المؤكد ان الذين سوف يكونون فى استقبالك لم يروا مسز " بيترتون " من قبل لسبب بسيط وهو أن هذه المنظمات تعمل بطريقة الخلايا المنفصلة فكل خلية مكونة من مجموعة أشخاص لايعرفون الخلايا الأخرى حتى إذا ما سقطت إحدى الخلايا فى يد الشرطة لم تسقط بقية الخلايا ...

وهذا يعنى ان الذين ينتظرون مسز " بيترتون " لايعرفون عنها سوى شئ واحد وهوأنها ذات شعر أحمر قاتم وعينين زرقاوين ، وأن طولها خمسة أقدام وسبع بوصات ولا توجد بها أى علامات ظاهرة ومن حسن الحظ ان كل هذه المواصفات تتوافر فيك ...

قالت " هيلارى " :

– ولكن .... ولكننى لا أعرف أى شئ عن مسز " بيترتون " ... ان الأمر ليس بهذه السهولة يا مستر " جيسوب " :

– اننا لا نعمل بطريقة عشوائية يامسز " كرافن " ... سوف نزودك بأدق التفاصيل عنها ثم نعمل على إدخالك المستشفى الذى ترقد فيه مسز "بيترتون " بطريقة خفية حتى إذا قضت نحبها انتحلت اسمها وشخصيتها بينما يقال ان التى ماتت هى أنت .. وسنقول انك أصبت بارتجاج فى المخ من جراء الحادث حتى إذا أخطأت فى معلومة ما فسيكون أمامك فرصة لإدعاء فقدان الذاكرة من جراء الصدمة ...

ورغم ذلك فهناك احتمال لأن ينكشف كل شئ وتلقين حتفك ، ولكنك إمرأة لا تخشى الموت بل تسعى من أجله ... فهل تقبلين القيام بهذه المهمة الخطرة ؟

وبلا أدنى تردد قالت " هيلارى " :

- نعم ... انني موافقة علي انتحال شخصية مسز " بيترتون " ...

قال الرجل بلهجة عملية :

- هيا بنا ... إن الوقت ثمين للغاية ....

***

جلست " هيلارى كرافن " بجوار " ليف بيترثون " التى رقدت فى فراشها بالمستشفى وهى غائبة عن الوعى تماماً .. كانت رأسها معصوبة بالضمادات وجسدها مليئاً بالجروح والكسور ....

وقف الطبيب وإحدى الممرضات بجوارها بينما جلس " جيسوب " فى أقصى ركن من الغرفة وبعد قليل نهض من مقعدة وهمس بالفرنسية فى أذن الطبيب :

- ترى هل يمكن أن تموت قبل أن تسترد وعيها ؟

- أعتقد ذلك ، فالنبض ضعيف للغاية ولكن قد تسترد وعيها فى لحظاتها الأخيرة ...

- ألا يمكن أن نعطيها أى منبه ؟

- كلا ....

ثم غادر الغرفة هو والممرضة فقال " جيسوب " لـ " هيلارى " :

– أتمنى أن تسترد وعيها ولو لدقيقة واحدة حتى تمدنا بأى معلومات .. أى كلمة لها قيمتها فى هذه المهمة .. أو حتى أشارة .. أرجو أن تنصتى إليها جيداً فقد تنطق بكلمة السر وإذا وجدت فرصة فعليك استدراجها فى الكلام بقد رالمستطاع ...

– وهل أصارحها بأنها تحتضر ؟

– سوف أدع ذلك لتقديرك .....

***

بدأت " هيلارى " تشعر بتغير كبير فى أحوالها النفسية .. انها تكاد تنسى مأساتها بعد أن وضعت قدمها على بداية طريق المغامرة الحافلة بالمخاطر.

جلست بجوار فراش مسز " بيترتون " وهى مرهفة الحواس وراحت تتساءل :

– هل جاءت هذه المرأة ..إلى المغرب لمقابلة زوجها بعيداً عن الأعين أم أنها تعانى من انهيار الأعصاب حقاً ؟ ! وأنها تبحث عن الراحة كما بحثت هى من قبل ؟

بعدحوالى ساعتين من الانتظار عاد الطبيب ليفحص المريضة ..

وبعد أن جس نبضها قال :

– لقد ازدادت الحالة سوءا والنهاية تقترب ..

تململت مسز " بيترتون " فى فراشها ثم فتحت عينيها ورأت " هيلاى " أمامها مباشرة ، ثم أغلقت عينيها مرة أخرى وقالت بصوت لا يكاد يسمع :

– أين أنا ؟

تناول الطبيب يدها وقال برقة :

– في المستشفى .. لقد وقع حادث للطائرة ...

همست قائلة :

– الطائرة ؟!

قال لها الطبيب :

– هل تريدين الاتصال بأى شخص هنا فى كازابلانكا ؟

– كلا ....

نظرت إلى " هيلارى " مرة أخرى وقالت لها :

– من أنت ؟

اقتربت منها " هيلارى " وقالت بصوت واضح :

– لقد جئت من انجلترا مباشرة على متن إحدى الطائرات ، وأنا هنا من أجل مساعدتك فيمكنك أن تطلبى ما شئت ...

– لا يوجد ما يمكن عمله .. إلا اذا كان ...

وتطلعت حولها فنظر الطبيب إلى الممرضة نظرة خاصة ثم غادرالغرفة وتبعته المرأة ....

أخذت مسز " بيترتون " تجاهد حتى تنطق وأخيراً قالت :

– أرجوك .. هل .. انتهى الأمر .

كانت " هيلارى " تتوقع هذا السؤال فقالت :

– نعم ... ان هذه هى اللحظات الأخيرة .. فهل لديك رسالة تودين إبلاغها إلى زوجك ؟

إننى سوف أحاول الاتصال به ...

قالت بصوت واهن :

– أرجوك اخبريه .. لابد أن يحذر " بوريس " .. انه شخص شديد الخطورة ...

أخذت تلهث وتسارعت أنفاسها فمالت " هيلارى " فوقها وسألتها :

– أرجوك .. أريد أن أعرف أى شئ يسهل لىّ الوصول إلى زوجك ...

– الثلج ...

قالت " هيلارى " بدهشة :

– الثلج ؟

ابتسمت مسز " بيترثون " ابتسامة شاحبة وهمست بصوت لا يكاد يسمع تردد إحدى اغنيات الأطفال الشائعة :

( الثلج ... الثلج ... الجميل .. ..)

( تقف على قطعة منه فتنزلق .. ..)

ثم تذهب .... تذهب بعيداً .. .. ) أرجوك اذهبى إليه وحذريه من " بوريس " .. اننى لا أصدق .. لا أصدق .. ورغم ذلك فقد يكون صحيحاً فعليه أن يكون حذراً ... ثم اختلجت عيناها وأسلمت الروح ...

***

بعد رحيل مسز " بيترتون " لزمت " هيلارى كرافن " غرفة بالمستشفى ولم تغادرها لمدة خمسة أيام كاملة .. كانت أياما شاقة للغاية ....

تلقت عشرات الدروس عن هذه المهمات الخاصة ، وبعد ذلك تم تلقينها كل المعلومات التى جمعت عن حياة " اوليف بيترتون " ، وفى المساء كان يتم امتحانها فى كل هذه المعلومات وكانت معلومات تتعلق بكل شئ عنها .. منزلها الذى تسكن فيه .. أسماء كل الخدم والأهل والأقارب والأصدقاء حتى اسم كلبها المدلل وطيور الكناريا .. وكل تفاصيل حياتها منذ تزوجت " توماس بيترثون " منذ حوالى سته شهور وتفاصيل حفل الزواج ، وكذلك الطعام المفضل وأنواع الشراب التى تحبها .. حتى شعرت بالضيق الشديد فقالت لـ " جيسوب " : وما أهمية كل هذا ؟

- لابدأن تستعدى لكل مفاجأة ، فأقل المعلومات تفيد فى إنقاذ حياتك أحياناً .. ان عملنا حافل بالخطورة ، فإذا سألك أحد سؤالا مفاجئا عليك ألا ترددى فى الإجابة وان يكون جوابك حاضراً .. عقب ذلك راح " جيسوب " يلقنها الدروس الأساسية من الكتابة بالشفرة ووسائل الاتصال السرية وغيرها من ضرورات عمل المخابرات ... وفى النهاية شعرت بأنها تتقدم بصورة رائعة فقال لها :

- اننى لم أتوقع أبداً أن تنجحى فى استيعاب هذا الكم الهائل من المعلومات خلال فترة قصيرة ... وذلك يدعوتى للاعتماد عليك ، ولكن لا داعى للقلق لأننا سوف نكون قريبين منك فى كل لحظة ..

- ماذا أفعل عندما أصل فى النهاية إلى " توماس بيترتون " ؟

- هذه أخطر مرحلة فى مهمتك . ولكننا سوف نكون بجانبك فى هذه اللحظة حتى نحميك ، ولا تنسى ان أساس عملنا هو المخاطرة ، وان كلا منا يتوقع القتل فى كل لحظة .... بعد أن تغادرى المستشفى سوف تنزلين فى الفندق الذى حجزت مسز "بيترتون" إحدى غرفه، وسوف ترتدين ملابسهاوتصففين شعرك بنفس طريقتها .. فمنذ هذه اللحظة أنت مسز " بيترتون " وسوف يقوم أحد أطباء التجميل بمعالجة وجهك بشرائح من البلاستيك حتى يجعلك تشبهينها .. وإذا ما لاحظ أحد آثار الشرائح على وجهك فسوف يظن أنها من آثار حادث الطائرة ... قالت " هيلارى " بانفعال:

- إنك دقيق فى عملك للغاية يا مستر " جيسوب " لا تغفل أى شئ ..

- عندما تزاولين العمل ستدركين ان أقل هفوة يمكن أن تكلفك حياتك وتحبط جميع خططك ..... أريد الآن أن أعرف كل ما قالته " أوليف بيترثون" قبل أن تموت ..

أخذت " هيلارى " تردد له كل ما قالته المرأة أثناء احتضارها ثم قالت :

- ان أهم ما قالته هو ان " بوريس " شخص شديد الخطورة ....

قال جيسوب :

- يبدو أنها تقصد " بوريس جلايدر " .. إنه الميجور الذى زارنى بمكتبى وزعم أنه ابن عمه الزوجة الأولى لـ " توماس بيترتون " ، ولم أتمكن من التحقق من شخصيته ، وأمرت بمراقبته وعلمت أنه ذهب إلى السفارة الأمريكية ولكنه لم يغادرها و أدركنا انه تسلل من أحد الأبواب الجانبية ....

قالت " هيلارى " :

- أرجو أن تصف لى هذا الرجل بدقة ...

فوصفة لها ثم قال :

- معها حق فيبدو أن هذا الرجل شديد الخطورة حقاً !!

***

# الفصل الثالث

في فندق " سان لويس " بكازابلانكا جلست ثلاث سيدات ...

الأولى هي الأمريكية " كالفين بيكر " التي جلست إلى مكتب صغير وراحت تكتب بعض الرسائل والثانية هي الانجليزية مس " هيذر نجتون " التي جلست في مقعد وثير تطرز جاكت من الصوف وبدت بارعة في عملها .

أما الثالثة فهي المدموازيل الفرنسية" جين ماريكو " فكان يبدو عليها الملل وهي تتطلع من النافذة أحياناً وتنظر إلى المرأتين بضيق ..

كانت مس " هيذرنجتون " قد تعرفت بمسز " كالفين بيكر " الأمريكية التي تتحدث بحرية وتألف الناس بسرعة ...

ظهر رجل أعمال فرنسي في مدخل قاعة الاستقبال ولكنه تراجع بسرعة عندما لاحظ أنها شبه خالية وألقى نظرة على "جين ماريكو " ..

راحت مس " هيذرنجتون " تعد الغرز التي قامت بتطريزها وهمست قائلة لنفسها :

– ماهو نوع الغرزة التالية ؟!

فى هذه اللحظة أطلت على القاعة امرأة طويلة القامة حمراء الشعر ... ترددت قليلاً ثم اتجهت إلى قاعة الطعام ....

لمحتها مسز " بيكر" و مس "هيذرنجتون " ، فتركت الأولى التطريز وقالت بانفعال :

– هل رأيت هذه المرأة ذات الشعر الأحمر ؟

سمعت أنها هى الوحيدة التى نجت من حادث تحطم الطائرة الاسبوع الماضى ...

قالت مس " هيذرنجتون " :

– لقد جاءت إلى الفندق بعد ظهر اليوم فى سيارة إسعاف .. لقد شاهدتها بنفسى ....

– نعم .. لقد جاءت من المستشفى مباشرة ...

– ألم تتسرع فى الخروج من المستشفى ؟ لقد كانت مصابة بارتجاج فى المخ وحالتها خطيرة ....

– لقد نظرت إلى وجهها فوجدت به آثار الجراحة والشرائط اللاصقة ، ويبدو أن هذا من آثار قطع الزجاج ... من حسن حظها أنها نجت من الحريق الذى شب فى حطام تلك الطائرة المنكوبة ...

قالت مسز " كالفين " :

– لقد واجهت موقفاً صعباً للغاية ... يالها من مسكينة ... هل كان زوجها معها ؟ من المؤكد أنه مات ....

– لا أعتقد أنه كان معها لأن الصحف أشارت إلى أن إمرأه واحدة هى التى نجت من الحادث ولم تشير إلى زوجها ....

– لقد طالعت الصحف وعلمت ان اسم المرأه هو مسز " بيفرلى " ... كلا ... مسز " بيترتون " .... نعم مسز " بيترتون " ....

قالت مسز " هيذرنجتون " :

نعم .... هذا هو اسمها فعلاً لقد طالعته فى الصحف ....

أما " جين ماريكو " فقالت لنفسها بالفرنسية :

– اللعنة على " بيير " ... إنه إنسان لا يحتمل أبداً ... أما " جولز " الصغير فإنه لطيف وأبوه يتمتع بمركز مرموق ... لقد قررت أن أعمل ...

ثم غادرت القاعة بخطوات رشيقة ....

***

فى اليوم الخامس لكارثة الطائرة وبعد وفاة مسز " بيترتون " الحقيقية غادرت مسز " بيترثون " المزيفة المستشفى فى سيارة إسعاف متجهة إلى فندق " سان لويس " ....

كان وجهها شاحباً عليه الضمادات والأشرطة اللاصقة ....

بمجرد وصولها إلى الفندق سألت عن أى رسائل وصلت باسمها ولكنها لم تجد شيئاً ...

كانت تتصرف بحذر شديد ، وحرصت على أن تفعل كل شئ كما أوصاها مستر " جيسوب " تماماً حتى لا ترتكب أى هفوة تؤدى إلى فشل

العملية لم تكن تهتم بسلامتها ولكنها شعرت بالانفعال و الإثارة وهي تؤدى هذا العمل الملئ بالغموض والإثارة ....

شعرت بالقلق ... فمن المحتمل أن يكون لدى " أوليف " تعليمات بالاتصال برقم تليفون معين بمجرد وصولها ، أو تعليمات بالذهاب إلى شخص ما فى كازابلانكا فكيف تعرف كل ذلك ؟

انها لا تملك الآن إلا جواز سفر " أوليف " ودفتر التحويلات وتذاكر السفر واخطارات الحجز فى الفنادق بمدن كازابلانكا وفزان ومراكش ...

ومن الطبيعى ان هذه الأيام انقضت بسبب حادث الطائرة وكانت واثقة ان هناك من سيتصل بها لترتيب هذه الأمور مرة أخرى ، فلا شك انهم يعلمون بما حدث لها وبأنها نجت من الموت بأعجوبة ...

وقد قام " جيسوب " بنزع صورة " أوليف " من جواز السفر ووضع صورة " هيلارى " ....

قررت " هيلارى " أن تخوض تلك المخاطرة بثبات وإذا ما وقعت فى خطأ ما ستقول انها فقدت الذاكرة بفعل الحادث ، وسوف يقتنع الجميع فهم يعلمون بأنها مصابة بارتجاج فى المخ ...

ظلت " هيلارى " فى غرفتها حسب التعليمات ، فليس من المعقول أن تغادر غرفتها وهى مازالت تحت العلاج ... والمفروض انها فى حاجة إلى الراحة التامة ....

استغلت هذه الفترة فى مراجعة كل تفاصيل حياة " أوليف بيترتون "

حتى لاتتردد أمام أى سؤال مفاجئ ...

وفى المساء غادرت غرفتها إلى قاعة الطعام لتناول العشاء ...

بمجرد دخولها إلى القاعة تطلعت إليها كل الأنظار وتبادل بعضهم الهمسات التى سمعت بعضها وعندما جلست إلى إحدى الموائد اقتربت منها سيدة بدينة وقالت لها بالانجليزية بلكنة أمريكية :

– معذرة يا عزيزتى .. ألست أنت التى نجوت من حادث تحطم الطائرة بمعجزة ؟

قالت " هيلارى " :

– نعم ....

– إننى أهنئك يا عزيزتى .. لقد كانت كارثة مروعة وتجربة أليمة بالطبع ... سمعنا ان عدد الذى نجوا من الحادث ثلاثة ....

– كلا ... اثنان فقط أما الثالث فقد توفى فى المستشفى ...

– لم أعرف بذلك يا مسز ....

– مسز " بيترتون " ...

واصلت الأمريكية الثرثرة ، فقالت :

– أين كنت تجلسين وقت سقوط الطائرة ... فى المقدمة أم بالقرب من الذيل ؟

من حسن الحظ أن " جيسوب " كان قد لقنها إجابة هذا السؤال فقالت

على الفور :

- فى المؤخرة ...

- هذا من حسن حظك ... يقولون أن هذا أكثر المناطق أمناً فى الطائرات حتى إذا سقطت الطائرة كانت هناك فرصة فى النجاة ...

ثم نظرت إلى إمرأة أخرى تجلس بالقرب منها وقالت :

- كما قلت لك بالأمس يا مسز " هذرنجتون " ... يجب أن تحرصى على الجلوس فى المؤخرة مهما كانت الأغراءات أمامك ....

قالت " هيلارى " :

- ولكن هل يجلس الجميع فى المؤخرة ؟ فمن الذى سيجلس فى المقدمة إذن ؟

- لا يهمنى من الذى يجلس المهم إننى سأبتعد عنها ...

- إننى أدعى مسز " بيكر " ... " كالفن بيكر " ... أمريكية الجنسية .. وقد تعرفت بمسز " هيذرنجتون " هنا .... هل ستسافرين إلى مراكش يامسز " بيترتون " ؟

قالت " هيلارى " :

- كنت أنوى أن أفعل ذلك ولكن الحادث أفسد كل شئ ...

- ولكن يجب أن تقومى بزيارة مراكش إنها رائعة ... أليس هذا صحيحاً يا مسز " هيذرنجتون " ؟

– نعم ولكنها باهظة التكاليف ولا يستطيع المرء أن يحول نقوده هناك بسهولة .

قالت مسز " بيكر " :

– هناك أماكن تتميز باعتدال الأسعار على سبيل المثال فندق المأمون .. إنه فندق رائع وأنصحك بالنزول فيه يا مس " بيترتون " ...

قالت مس " هيذرنجتون " محتجة :

– كلا يا مسز " بيكر " أن أسعاره مرتفعة للغاية ولا يمكن أن أنزل فيه ، ولكنكم أيها الأمريكيون تتمتعون بمعاملة خاصة وبتسهيلات فى تحويل أموالكم ...

قالت مسز " بيكر " تخاطب " هيلارى " :

– هل ستقومين بزيارة مدن أخرى هنا بالمغرب ؟

– نعم ... سوف أزور فزان ولكن يجب أن أحجز غرفة فى الفندق .

– بالطبع ... يجب ألا تفوتك زيارة فزان والرباط ...

– هل زرتهما ؟

– كلا ... ولكننى سمعت أن بهما الكثير مما يستحق الزيارة ، وسوف نذهب إليها أنا ومسز "هيذرنجتون " ...

تواصل الحديث بينهما قليلاً ثم اعتذرت " هيلارى " وأستأذنت فى الصعود إلى حجرتها لشعورها بالارهاق ...

وبعد أن استلقت في فراشها راحت تفكر في كل ما قالته مسز " بيكر " وتساءلت :

– ترى هل كانت مجرد ثرثرة عادية أم أنه استجواب أم توجيهات خفية؟

وقررت أن تذهب إلى شركة السياحة فى اليوم التالى لتجديد الحجز فى فزان والرباط وذلك إذا لم يتصل بها شخص ما ليلقى إليها بتعليمات جديدة....

لم تتلق أى تعليمات جديدة فى صباح اليوم التالى وحتى الحادية عشرة فغادرت الفندق إلى شركة السياحة ووقف فى طابور أمام الشباك ...

عندما حان دورها سألت الكاتب عما ينبغى عليها أن تفعله فقال لها رئيس المكتب :

– إننا نهنئك أولاً على النجاة يا مسز "بيترتون " ، وقد نفذنا تعليماتك التليفونية بخصوص تعديل الحجز ...

تعليمات تليفونية !!!

شعرت باضطراب شديد ولكنها تمالكت نفسها وتناولت التذاكر ... لاشك أن هناك مجهولين قاموا بهذه الترتيبات لأنها لم تتصل بالمكتب وقالت بلباقة :

– لقد جئت خشية ألا يكون أحد قد اتصل بكم ....

***

بدأت " هيلارى " رحلتها إلى فزان فى صباح اليوم التالى ...

كانت تتطلع لزيارة مدينة تحمل الطابع الشرقى الساحر لأن مدينة كازابلانكا كانت أشبه بالمدن الفرنسية ...

وجدت معها فى مقصورة القطار أربعة أشخاص رجلا فرنسيا يبدو أنه مندوب مبيعات وراهبة جلست فى أحد الاركان وامرأتين مغربيتين تجلسان سوياً بينما جلس الرجل الفرنسى أمامها مباشرة وبعد قليل بدأ بينهما الحديث حيث قال لها :

– أنصحك بزيارة الرباط يا سيدتى ... انها مدينة رائعة ...

قالت :

– أتمنى أن أجد متسعاً من الوقت لزيارتها ، كما أن نقودى على وشك النفاذ لأننا لا نحمل معنا إلا قدرا محدودا منها حسب التعليمات ...

فقال :

– إن هذا أمر سهل للغاية ويمكن تدبير ذلك مع أحد لأصدقاء هنا ...

– للأسف ليس لى أى أصدقاء فى المغرب ...

قال :

– فى المرة القادمة يمكنك إرسال خطاب إلى على هذا العنوان حتى أدبر لك الأمر ...

ثم أعطاها بطاقة تحمل اسمه وعنوانه ....

– أشكرك كثيراً على هذا الكرم ... إننى بالفعل أفكر فى زيارة المغرب مرة ثانية ...

– إن الجو هنا ساحر والشمس مشرقة طوال النهار بعكس الحال فى انجلترا حيث البرد والضباب والمطر الغزير ... عندما غادرت باريس منذ حوالى ثلاثة أسابيع كان الجو شديد البرودة والأمطار تتساقط بغزارة .. كيف كان حال الجو عندما غادرت انجلترا ؟

– كان الضباب كثيفاً ...

– بالطبع .. فهذا هو موسم الضباب ... وماذا عن الثلج ؟ ! هل يسقط الثلج فى انجلترا ؟

ما كادت " هيلارى " تسمع الكلمة الأخيرة (الثلج) حتى تنبهت كل حواسها وتساءلت : ترى هل الرجل يتحدث بطريقة عفوية عادية أم انه يقصد شيئاً ما بكلمة الثلج ؟

لقد ذكرت الكلمة مرتين ، وهى نفس الكلمة التى ذكرتها " اوليفبيترتون" وهى تحتضر ... فهل هى كلمه السر أم أنها ترمز لشئ ما ؟

أخذت تنظر من النافذة وتتشاغل برؤية المناظر الطبيعية التى تتابعت بسرعة أمامها خلال سير القطار بسرعة متجها نحو الشمال ...

عند حلول المساء وصل القطار إلى فزان فحمل الرجل الفرنسى حقيبتها وقال لها :

– هل تريدين الذهاب إلى فندق (قصر الجمال ) ؟

- نعم ....

- إنه يقع على بعد حوالى ثمانيه كيلومترات من المدينة ...

قالت بدهشة :

- يبدو انه يوجد فى الضواحى ؟

- كلا .. إنه فى الحى القديم ، وهو فندق هادئ للغاية يساعد على الأسترخاء بعيداً عن ضوضاء المدينة ولقد كان قصراً لاحدى العائلات المغربية قبل أن يتحول إلى فندق ، وتوجد به حدائق متسعة رائعة ويجاوره الحى القديم بطابعه الشرقى الساحر ... أما أنا فسوف أنزل فى فندق بالحى التجارى ...

راحت " هيلارى " تتطلع حولها بقلق فقال الرجل :

- يبدو أن الفندق لم يوفد أحدا لاستقبالك .. سوف أستوقف سيارة أجرة ...

- أشكرك كثيراً يا سيدى ...

وبعد أن ركبت السيارة قال لها :

- إذا احتجت لأى شئ فإن بطاقتى معك ويمكنك الاتصال بى على الفور ... سوف أقيم بفندق (جراند أوتيل) لمدة أربعة أيام ..

ثم حياها ....

طالعت " هيلارى " البطاقة فوجدت اسمه " هنرى لورييه "

بعد قليل راحت السيارة تبتعد عن المدينة وتتجة إلى الضواحي والطرق الريفية .... حاولت " هيلارى " أن تتبين معالم الطريق ولكن الظلام كان كثيفاً للغاية فحال بينها وبين رؤية أى شئ عدا بعض المبانى التي كان ينبعث منها الضوء ...

راحت تتساءل :

- ترى إلى أين ستذهب فى النهاية ؟ وهل مسيو " هنرى لورييه " هو أحد عملاء تلك المنظمة السرية ؟ هل له علاقة بـ " توماس بيترتون " ؟ وهل هو الذى أغراه بالهجرة بعيداً عن وطنه وزوجتة ؟ وإلى أين تتجه بها هذه السيارة ؟

بدأت تشعر بالقلق بينما كانت سيارة الأجرة تتوغل فى الطرق المظلمة..

وأخيراً توقفت السيارة أمام فندق (قصر الجمال) فظنت أنها كانت متخوفة أكثر مما ينبغي ونزلت من السيارة واتجهت إلى الفندق ...

كان يتميز بطابع شرقى رائع للغاية ... كل ما فيه يحمل سحر الشرق وجماله ... الثريات ... المقاعد .. الوسائد ... الفراش .. الأبسطة .. حتى أوانى الطعام والشراب والقهوة والشاى ...

شعرت " هيلين " بالنشاط والسرور لأول مرة منذ شهور طويلة فاغتسلت وأبدلت ثيابها ثم هبطت إلى قاعة الطعام لتناول عشاءها فوجدت الطعام رائع المذاق ...

وبحذر شديد دارت ببصرها فى أنحاء القاعة حتى ترى وجوه الحاضرين

وجدت كهلا ذا لحية مدببة يتسابق الجميع فى خدمته وتلبية كل طلباته وتساءلت : ترى من هذا الرجل ؟!

كان هناك رجل ألمانى يجلس فى وسط القاعة وبالقرب منه فتاة رائعة الجمال يبدو أنها سويدية أوهولندية تجالس رجلاً كهلاً ، وكانت هناك أيضاً عائلة معها طفلان بالاضافة إلى بعض العائلات الفرنسية والأمريكية ...

تناولت القهوة فى الشرفة بعد العشاء وكان الجو شديد البرودة فصعدت إلى غرفتها وأوت إلى فراشها ...

فى صباح اليوم التالى جلست فى الشرفة حيث كانت الشمس تغمرها بضوئها وتبعث فيها الدفء ...

وبعد قليل جاءت السويدية الشقراء فجلست بالقرب منها ثم انضم إليها الكهل ، وتساءلت " هيلارى " عما إذا كان أباها أم زوجها .... كانت الفتاة تحدثه بعصبية وبأسلوب جاف للغاية بينما أخذ يعتذر لها بصوت خافت ..

ثم جاء الرجل ذو اللحية المدببة وجلس في أقصى الشرفة وعلى الفور هرع إلية الجرسون ليتلقى أوامره ....

لاحظت " هيلارى " أن السويدية أشارت نحو الرجل ذى اللحية ثم قالت بعض الكلمات لرفيقها الكهل وعندما أقبل الجرسون ليلبى طلبات "هيلارى" سألته عن شخصية الكهل الملتحى فقال :

- إنه المليونير الشهير مسيو " اريستيد " ...

أدركت سر اهتمامهم بهذا العجوز الدميم .. إنه المال ...

وفى نفس اللحظة رفع الرجل وجهه ونظر إليها فالتقت أعينهما لحظات ثم أشاح بوجهه ...

عاد الجرسون وهو يحمل إليها ما طلبته وأشار إلى الفتاة السويدية ورفيقها الكهل وقال :

- هذا الرجل من أشهر رجال الصناعة فى أوروبا أما رفيقته فهى نجمة سينمائية صاعدة بسرعة الصاروخ ...

أنها تعامله بعجرفة وتتشاجر معه دائماً وتريد أن تذهب إلى مدينة كبرى حتى يمكنها التسوق فى أسواقها وإنفاق المزيد من الأموال ... حتى الأثرياء يلاقون منغصات فى حياتهم تحرمهم نعمة الراحه...

ابتعد الجرسون وأقبل شاب فرنسى شديد الوسامة نظر إلى "هيلارى" نظرة ذات مغزى وكأنه يقول لها :

- لماذا تبقين هنا وحدك ولا تذهبين إلى الحديقة ؟

ثم اتجه إلى الحديقة وهو يترنم بأغنية تقول كلماتها :

(كانت زهور الليوبيريا لغة الجمال .. كأنها الأحلام الجميلة) ...

وبسرعة تذكرت اسم الرجل الفرنسى الذى تحدث معها فى القطار .. كان اسمه لوبريه ...

فهل هناك علاقة بين اسمه وبين زهرة الليوبيريه التى يذكرها هذا الفرنسى؟

أم أنها مجرد مصادفة أم أنها فلسفة الاسم ؟

فتحت حقيبتها وأخرجت البطاقة وطالعت الاسم فوجدته (هنرى لوريبه) وعنوانه ٣ شارع كرواسانت – كازابلانكا ....

استولت عليها الحيرة قليلاً وراحت تقلب البطاقة بين يديها بلا وعى ، وبينما هى تفعل لاحظت وجود أثار كتابة على ظهر البطاقة ولكنها مطموسة.

رفعتها فى ضوء الشمس وحاولت أن تقرأها ولكنها لم تتمكن إلا من قراءة كلمة "دانتان" ....

وتساءلت ترى هل هذه الكلمات ذات معنى خفى ؟

وبينما هى فى حيرتها تلك سقط ظل على وجهها فشعرت بالخوف ورفعت رأسها ورأت مستر " اريستيد " يقف أمامها وقد سقطت أشعة الشمس فوقة فوقع ظله على وجهها ، ولكنه لم يكن ينظر أليها حيث كان متجها صوب التلال التى تقع خلف الحديقة ....

تنهد ثم اتجه إلى قاعة الطعام وبينما هو يقترب منها اصطدمت يده بقدح الشراب فوق مائدتها فسقط علي الأرض وأحدث دوياً مزعجاً ...

وعلى الفور قال لها :

– معذرة يا سيدتى .. أننى شديد الأسف لما حدث ....

ابتسمت " هيلارى " فى وجهه وقالت :

– لا داعى للأسف ... ان الأمر بسيط للغاية ...

استدعى المليونير الجرسون وأمره بأن يحمل لها مشروباً آخر وكرر اعتذاره ثم انصرف ...

بعد قليل عاد الشاب الفرنسى من الحديقة وهو مازال يترنم بالأغنية وتعمد أن يتمهل فى مشيتة وهو يمر بجوار " هيلارى " ولكنها لم تلق إليه بالاً فهز كتفية وانصرف ....

عاد الجرسون وهو يحمل معه المشروب فسألته " هيلارى " قائلة :

- هل ينزل مستر " ارستيد " هنا وحده أم معه حاشيته ؟

- لا يمكن أن يسافر المليونيرات وحدهم .. فمعه عدد كبير من الأشخاص .. السائق وعدد من المساعدين والسكرتارية ...

***

بعد أن تناولت " هيلارى " طعام الغذاء نزلت إلى الحديقة وغرقت فى افكارها ....

قرب الغروب شعرت ببرودة الجو فعادت إلى قاعة الجلوس وهناك التقت بمسز " كالفين بيكر " التى قالت لها :

- لقد وصلت على التو من كازابلانكا بواسطة الطائرة لأننى لا أحب القطارات ...

وقبل أن تعقب " هيلارى " واصلت المرأة الثرثارة قائلة :

- هل زرت المدينة القديمة ؟

– كلا .... لقد استمتعت بالشمس المشرقة طيلة اليوم ....

– معك حق ... انك خرجت من المستشفى منذ أيام قليلة ولابد أن تحصلى على قدر من الراحة ...

فى البداية لابد أن ترقدى فى غرفة معتمة خلال النهار وتدريجياً يمكنك الخروج للنزهة ....

يمكننا أن نخرج سوياً فى بعض الرحلات هنا ...إننى رغم كبر سنى أعشق الرحلات ...

– إننى أحترم النشطين من كبار السن ...

استطردت المرأة قائلة :

– مس " هيذرنجتون " سوف تصل اليوم بالقطار ... عندما حضرت إلى هنا وجدت أنهم حجزوا لى غرفة غير ملائمة وسوف أحاول الحصول على غرفة أفضل منها ...

وأخيراً تركت " هيلارى " وهى تسير بنشاط وحيوية لا تتفق مع سنها ...

وفى العشاء التقت " هيلارى " مع مسز " بيكر " ومس " هيذرنجتون " حيث جلسن سوياً ودارت بينهن شتى الأحاديث .

***

# الفصل الرابع

ذهبت " هيلارى " إلى مكتب الاستعلامات بفندق قصر الجمال وذكرت لهم أنها تود زيارة الحى الشرقى فعهدوا إلى دليل بمرافقتها إلى هناك ...

سار الدليل معها عبر الحديقة الرائعة حتى إذا وصل إلى أطرافهاأخرج من جيبه مفتاحاً كبيراً وفتح باباً يختفى خلف الأشجار ودخل منه فتبعته "هيلارى " ....

تطلعت " هيلارى " حولها فى دهشة ....

كان الحى الشرقى يختلف كل الأختلاف عن الفندق الذى غادرته منذ لحظات .. فالشوارع ضيقة للغاية لا تتسع إلا لمرور شخص واحد والناس يرتدون العباءات الفضفاضة والمحلات مكدسة بالبضائع المختلفة من التحف الشرقية والمصنوعات الجلدية الرائعة والمطروقات النحاسية المتقنة الصنع .....

تمنت لو أن هذا الدليل لم يكن معها حيث راح يثرثر بلا انقطاع ويطلب

منها أن تنظر إلى شئ معين ويسألها رأيها ....

إنها تريد أن تستمتع بهذا الجو البديع فى هدوء وبدون أن يفرض أحد عليها شيئاً ...

وأخيراً مضى بها الدليل الى مقهى مغربى يشتهر بالشاى اللذيذ الطعم..

كان المقهى يقع على سفح أحد التلال وهو عبارة عن مقهى شرقى صميم توجد على أرضه وسائد جلدية رائعة كما توجد أرائك مكسوة بقماش يحمل الطابع الشرقى الأصيل .. ...

تناولت عدة أكواب من الشاى المخلوط بالنعناع ....

قال لها الدليل :

- سوف أصحبك بالسيارة حتى تشاهدى أحد المناظر الطبيعية الرائعة لدينا ... ولكن عليكى أن تذهبى أولاً للاغتسال مع هذه الفتاة ...

فقالت الفتاة :

- لدينا هنا فى فزان عدد كبير من أجمل الحمامات التى تضارع حمامات لندن وباريس ....

تبعت " هيلارى " الفتاة فوجدت الحمام رائعاً للغاية نظيفاً ......

وبعد أن انتهت من تجميل نفسها أدارت مقبض الباب حتى تخرج ولكن الباب لم ينفتح ...

شعرت بالغضب فأدارت المقبض بقوة ولكنه كان مغلقاً بإحكام .....

ما معنى هذا ؟

هل يمكن أن يغلق أحد عليها الحمام من الخارج ولكن لماذا ؟

تمالكت أعصابها وراحت تنظر حولها بهدوء فوجدت باباً أخر فى الناحية المقابلة فأسرعت إليه وأدارت المقبض فوجدته ينفتح بسهولة ....

فخرجت من الحمام ووجدت نفسها فى غرفة تحمل الطابع الشرقى ولكنها كانت معتمة الضوء ...

وقفت قليلاً وسط الغرفة حتى تألف عيناها الرؤية ...

وبعد قليل راحت تدور بعينيها فى الغرفة ولدهشتها الشديدة وجدت رجلاً جالساً فوق أريكة وهو يدخن سيجارته ...

ما كادت تنظر إلى وجهه حتى شعرت بالدهشة البالغة ...

كان هو نفسه الفرنسى " هنرى لوربيه " !!

***

قال " لوربيه " بهدوء :

- مرحباً بك يا مسز " بيترتون " ....

عقدت الدهشة لسانها فلم تتمكن من النطق بكلمة واحدة ولكنها أدركت دقة موقفها وعادت إليها الروح الفدائية التي جعلتها تقبل المهمة الخطيرة ..

نجحت فى استعادة السيطرة على أعصابها وراحت تفكر بسرعة ..

لقد بدأت المهمة الآن ... هل هذه هي المغامرة المثيرة التى وافقت على القيام بها ؟

– حسناً ... فلابد أن تؤدى دورها بإتقان وكأنها مسز " بيترثون " الحقيقية .. إن سلامتها تتوقف على اتقان هذا الدور ...

قالت بهدوء :

– هل توجد لديك أية أنباء ؟

قال بلهجة تنطوى على العتاب :

– نعم ... ولكنك كنت شديدة التحفظ معى فى القطار رغم أننى تحدثت معك كثيراً عن حالة الجو ... ألم تلاحظى ذلك ؟

ياإلهى ... إنه يتحدث عن الجو ... إذن فقد كان معها حق حينما شكت فى أمره .. تحدث عن الضباب والثلج ... نعم ... الثلج ...

أخر كلمة ذكرتها " اوليف بيترتون " وهى تحتضر ... وتذكرت الأغنية التى رددتها على مسامعها ... وعلى الفور كررت نفس الأغنية أمامه فقال :

– حسناً .. هذه هى كلمة السر المتفق عليها ، ولكن لماذا لم تذكريها حينما تحدثت معك عن الأحوال الجويةوالثلج ؟

قالت " هيلارى " :

– يبدو أنك نسيت الحادث الرهيب الذى وقع لى منذ أيام .. إننى مصابة بارتجاج فى المخ وكثيراً ما تصيبنى حالات من فقدان الذاكرة المؤقت ....

إن هذه الحالة لا تستغرق كثيراً لحسن الحظ ...

قال بلهجة تحمل معنى الاشفاق :

- إننى أعلم ذلك بالطبع وأقدر ظروفك ... لقد نجوت بمعجزة ، ولكن هل باستطاعتك مواصلة الرحلة وأنت بهذه الحالة ؟

قالت بحماس :

- بالتأكيد سوف أواصل الرحلة لا تنس أن زوجى ...

فقاطعها قائلاً :

- إنه ينتظرك بلهفة ....

ثم ابتسم ابتسامة شيطانية وسألها :

- هل اقتنعت السلطات فى انجلترا باجاباتك ؟

- وكيف أعلم ؟ من الواضح أن الأمور كانت تسير على ما يرام ....

أعتقد أنهم وضعونى تحت المراقبة ، فرغم أننى لم ألاحظ من يتعقبنى إلا أن إحساسى الداخلى كان يدلنى على ذلك ...

فقال لها ببرود :

- من الطبيعى أن يعمدوا إلى مراقبتك وقد كنا نعرف ذلك ونحسب حسابه فمنذ أن اختفي زوجك وضعوك تحت المراقبة ولكننا تمكننا من إبلاغك بما نريد ...

- نعم .....

– حسناً ... إليك تعليماتنا الجديدة .. سوف تسافرين بعد غد إلى مراكش حسب الجدول السابق وهناك سوف تصلك رسالة من انجلترا تتضمن التعليمات اللازمة للعودة .....

– هتفت قائلة :

– ماذا ؟ العودة ؟

قال بضيق :

– أرجو أن تنصتى إلى دون مقاطعة .. عليك الآن أن تقومى بحجز مكان على الطائرة التى ستذهب إلى كازابلانكا بعد غد ....

– وإذا لم أجد بها مكاناً ؟

– كلا ... سوف تجدين مكاناً شاغراً ... إننا لم نغفل ذلك .. هل عرفت التعليمات جيداً ؟

– نعم ....

– حسناً عليك أن تعودى إلى الدليل حالاً حتى لا يشعر بالقلق ..

مسز "بيترثون" ... هل تعرفت بإمرأة أمريكية تدعى مسز " بيكر " وأخرى انجليزية تدعى مس" هيذرنجتون " ؟

قالت بقلق :

– نعم ... ترى هل أخطأت بذلك ؟ لقد فرضت هذه المرأة الأمريكية نفسها على ولم تكتف بذلك بل عرفتنى بزميلتها ... لم يكن هذا ذنبى .. إننى أسفة ....

- لاداعي للأسف .. إنني سعيد بذلك فهذا يخدم خطتنا ....

أرجو أن تحاولي إقناع إحدهما باصطحابك في رحلتك إلى مراكش ...

- سوف أحاول وإن كنت غير واثقة من النجاح ...

- إلى اللقاء ...

عادت إلى الحمام ثم اتجهت إلى الباب الأول الذى كان مغلقاً بإحكام منذ قليل ولدهشتها البالغة وجدت المقبض يتحرك بسهولة ...

***

قالت " هيلارى " لمسز " هيذرنجتون " :

- سوف أسافر غداً إلى مراكش ....

- ولكنك لم تقيمي هنا إلا فترة قليلة للغاية لا تكفى للاستمتاع بهذه المدينة الجميلة ...

- كلا ... لقد استمتعت بها كثيراً ... وأتمنى أن تصاحبنى أى منكما حتى لا أسافر وحدى وأشعر بالملل .. إن أجمل شئ فى هذه الرحلة أننى تعرفت بكما ....

قالت مسز " هيذرنجتون " :

- ليس بإمكانى زيارة مراكش مرة أخرى لأننى زرتها منذ فترة وجيزة .

قالت مسز " بيكر " :

– إنني مثلك زرت مراكش منذ حوالى شهر ورغم ذلك أشعر بالشوق لزيارتها مرة أخرى .. إن الزيارة الثانية تكون أفضل من الزيارة الأولى دائماً .. سوف أذهب لحجز تذكرة على الطائرة المتجهة إلى مراكش ...

***

جلست " هيلارى كرافن " وحدها فى ركن بعيد بالشرفة وهى تراجع كل ما مر بها من أحداث في ذلك اليوم الحافل لقد بدأت المغامرة الحقيقية بما يحيط بها من مخاطر شديدة ...

وبينما هى غارقة فى أفكارها سمعت صوتاً هادئاً يقول لها :

– هل تسمحين لى بالجلوس إليك قليلاً يا سيدتى ؟

رفعت رأسها بسرعة فوجدت أمامها المليونير اليونانى مسيو "اريستيد" بلحيته المدببة ووجهه الوقور ..

وقبل أن تنطق بكلمة كان قد سحب مقعداً وجلس فيه وأشعل سيجارة ثم قال :

– هل أعجبتك هذه المدينة ؟

قالت بحذر :

– إننى لم أمكث فيها إلا وقتا قليلا لا يكفى للحكم عليها ...

قال المليونير :

– هل زرت الحى الشرقى ؟

– نعم .. إنه أروع ما رأيت هنا بالمغرب ...

– معك حق .. إنه يحمل أجمل المعانى .. يجعلك تتذكريين الماضى بهمساته الخافته ودسائسه وغموضه وسحره .. وعواطفه الفوارة ...

إننى عندما أسير فى شوارع فزان الضيقة أتذكر على الفور شوارع لندن المتسعة حيث الصراحة والوضوح ، أما هنا فأشعر بالغموض والإثارة الخفية ...

حدقت فيه " هيلارى " ولم تنطق ...

استطرد المليونير قائلاً :

– سوف تتعجبين عندما أقول لك إننى أحسدك على هده التجربة القاسية التى مررت بها ...

أعنى حادث سقوط الطائرة ونجاتك بمعجزة .. كنت أتمنى أن أكون مكانك فليس هناك أروع من رؤية الموت ثم الارتداد إلى الحياة مرة أخرى لأن هذا يجعل الروح تسمو وترتفع إلى أعلى الدرجات ...

ثم تركها فجأة بينما كانت تشيعه بنظرات التعجب والدهشة ...

***

جلست " هيلارى " بجوار مسز " بيكر " فى المطار الصغير فى انتظار الطائرة التى ستقلها إلى مراكش بعد قليل ...

راحت مسز " بيكر " تواصل الثرثرة بلا انقطاع فشعرت " هيلارى " بالحنق على " هنرى لوربيه " الذى نصحها باصطحاب أحد معها في الرحلة .. أنها لا تنتهى أبداً من الثرثرة ولا تلاحظ انها بدأت تشعر بالصداع والضيق ....

فى كل وقت كانت " هيلارى كرافن " تراجع تعليمات مستر " جيسوب " وتستعيد الدروس المكثفة التى ألقاها عليها خلال فترة وجودها بالمستشفى لقد نفعتها هذه الدروس كثيراً خلال مقابلتها مع " هنرى لوربيه " فى المرتين ، ولكن هل تواصل النجاح حتى تصل إلى " توماس بيترتون " ؟

أم ترتكب غلطة فاحشة تودى بها ؟ ...

من حسن حظ " هيلارى " ان مسز " بيكر " اتجهت تثرثر فى ناحية أخرى حيث وجدت بالقرب منها شابا أمريكياً مشرق الوجه وبصحبته آخر يبدو هولنديا أو نرويجيا تبدو على وجهه سيماء الوقار ....

قالت للشاب الأمريكى :

– أعرفك بصديقتى مسز "بيترتون " يا مستر .....

على الفور قال :

– " اندرو بيترز " ، وأصدقائى ينادوننى باسم " آندى " إنه أجمل وقعاً ..

وقدم زميلة نفسه بوقار قائلاً :

– إننى أدعى " توركيل ايريكسون " ..

فقالت مسز " بيكر " :

– وبعد أن تعارفنا .. هل أنتم ذاهبون إلى مراكش ؟ إن صديقتى مسز "بيترتون " تزور المدينة لأول مرة ...

قال الشاب النرويجى " تروكيل ايريكسون "

– أنا أيضاً أقوم بزيارة المدينة لأول مرة ....

وقال " اندروبيترز " :

– وأنا أيضاً مثله ...

وسمعوا فى هذه اللحظة صوت المذيع الداخلى يعلن عن قيام الطائرة المتجهة إلى مراكش .....

كانت الطائرة تضم هؤلاء الأربعة بالاضافة إلى رجل فرنسى وراهبة تتميز بوجهها الجامد الصارم ...

استرخت " هيلارى " فى مقعدها تماماً وأسندت رأسها إلى ظهر المقعد ولم تلبث أن استغرقت فى النوم العميق ...

استيقظت فجأة فوجدت الطائرة تهبط إلى الأرض وهى تهدئ من سرعتها ...

ظنت أنها وصلت إلى المطار ولكنها عندما نظرت عبر النافذة لم تشاهد ما يدل على ذلك أبداً ؟!

قال الرجل الفرنسي وهو يتثاءب :

- يبدو أننا سنهبط هنا .. ترى لماذا ؟

قالت " هيلارى " :

- إن الطائرة تهبط فعلاً .. أليس هذا عجيباً ؟

وأخيراً استقرت الطائرة على الأرض وتوقفت محركاتها تماماً وساد السكون ...

ترى ماذا حدث ؟ هل أصيبت الطائرة بخلل ما ؟ أم نفذ منها الوقود ؟

أقبل الطيار وهو يقول :

- أرجو أن تتفضلوا جميعاً بالنزول ....

نزلوا من الطائرة فوجدوا أنفسهم فى بقعة منعزلة تماماً فى قلب الصحراء المترامية الأطراف والتى تبدو بلا نهاية ....

قالت " هيلارى " بصوت ينطوى على القلق :

- ما هذا المكان ؟ لماذا هبطت الطائرة هنا ؟

قال الطيار :

- لا داعى للقلق فلن نتوقف إلا دقائق معدودات ثم اتجه ببصره ناحية الجبال العالية المكسوة بالثلوج !!

قال :

- هاهى مقبلة ناحيتنا .... لقد تأخرت قليلاً عن موعدها ... عدة دقائق

فقط ...

قال الرجل الفرنسى :

- تقصد أن هناك سيارة ستقلنا المسافة الباقية من الرحلة ؟

تساءلت هيلارى :

- هل تعطلت المحركات ؟

ابتسم " بيترز " وهو يقول :

- أعتقد ان المحركات سليمة ولكن لابد أن يفعلوا شيئاً مثل هذا ...

أخيراً أقبلت سيارة اتوبيس صغيرة يقودها سائق من البربر بسرعة ثم توقف إلى جوارهم ودهشت " هيلارى " وهى تسمع مسز " بيكر " تقول لهم بلهجة الأمر :

- هيا بسرعة ... لقد ضاع وقت كثير ....

على الفور فتح السائق الجزء الخلفى من السيارة فظهر صندوق ضخم تعاون معه " بيترزوايريكسون " فى إنزاله إلى الأرض فبدا ثقيلاً للغاية ..

فتح الرجل الصندوق فاقتربت " هيلارى " لترى ما يحتويه فجذبتها مسز "بيكر " بعيداً وقالت :

- لا داعى للنظر إلى داخل الصندوق ...

- لماذا ؟ ماذا به ؟

- يوجد به بعض الجثث .. لا تتعجب هكذا .. لقد قام الدكتور "بارون "

بشراءها لإجراء بحوث طبية ...

قال الرجل الفرنسى : سوف تنتهى المرحلة الأولى من رحلتنا هنا يامسز " بيترتون " ... سيتم وضع الجثث فى الطائرة ثم تشعل فيها النيران .. سوف نراها ونحن نستقل السيارة ....

– ولكن لماذا ...

قال الدكتور " بارون " : لا شك أنك تعرفين إلى أين نتجه ..إننا نتجه إلى المجهول ...

***

# الفصل الخامس

بدأت " هيلارى " تفهم الدور الخطير الذى تقوم به مسز " بيكر فى هذه المنظمة العجيبة .. قالت المرأة :

– هيا أسرعوا إلى السيارة ... لقد تأخرنا على الموعد ...

وفى السيارة قالت " هيلارى " لمسز " بيكر " :

– هل أنت التى تقومين بدور ضابطة الاتصال ؟

قالت مسز " بيكر " :

– نعم ... إننى أتولى مسئولية العلاقات العامة .. فلن يشك أحد فى أمرأة امريكية كثيرة التنقل بين البلدان تكثر من الثرثرة مع الجميع ...

تخيلى ماذا سيحدث عندما يطالع الناس خبر احتراق الطائرة بك للمرة الثانية ؟

سيقولون يالها من أمرأه سيئة الحظ كتبت لها النجاة فى المرة الأولى ولكنها ماتت محترقة فى المرة الثانية .. وسوف يعثرون على العديد من

الجثث المشوهة تماماً ...

قالت " هيلارى " لنفسها : يالهم من شياطين ؟ إنها خطة يعجز الشيطان عن وضعها ...

قالت :

– ولكن ما ذنب هؤلاء المساكين ؟

– سوف تتعجبين عندما أذكر لك حقيقة المجموعة التى معنا ... مستر "أيريكسون" من كبار علماء الطبيعة ... الدكتور " بارون " من أشهر علماء الجراثيم .. مستر " بيترز " عالم كيماوى مرموق .. مس " فيدهايم " ليست راهبة كما يبدو لك بل هى اخصائية فى الغدد بينما أنا مجرد ضابطة اتصال كما ذكرت ...

قالت " هيلارى " :

– وماذا عن مسز " هيذرنجتون " ؟

– أعتقد أن مهمتهاهى مراقبتك فى كازابلانكا والتأكد أنك غير مراقبة ، وحتى الآن لم أعرف حقيقتها فربما كانت تنتمى إلينا ...

انظرى انها تشتعل الآن ..

نظرت " هيلارى " من نافذة السيارة فرأت الطائرة تشتعل ثم سمعت دوى انفجار ...

ضحك " بيترز " وقال :

– سوف يعلم الجميع أن ستة أشخاص لقوا حتفهم بعد سقوط الطائرة

التى كانت تقلهم إلى مراكش ، ولن يتخيل أحد أن الجثث كانت لأشخاص ماتوا قبل ذلك بفترة طويلة .

قالت " هيلارى " :

– ولكن هذا شئ مخيف ...

قال " بيترز " :

– هل تقصدين الذهاب للمصير المجهول ؟ ربما كان معك حق ، ولكنه أفضل الطرق ... إننا نحاول نسيان الماضى والتوجه إلى المستقبل ...

ثم قال بانفعال :

– سوف نترك الأشرار وفاسدى العقول والحكومات الفاشلة وتجار الموت والدمار لكى نذهب إلى دنيا نظيفة رائعة تخلو من هذه القـــاذورات ... دنيا العلم ...

تنهدت " هيلارى " وقالت :

– كان زوجى يردد هذا الكلام ....

– توماس بيترتون ؟ للأسف لم أتعرف به فى الولات المتحدة رغم أننا حضرنا بعض المؤتمرات سوياً ..إننى أحترمه للغاية من أجل الجهاز الرائع الذى اخترعه وهو جهاز تفتيت الذرة ... أعتقد أنه كان يعمل مساعداً للبروفسير " مانهايم " ؟

– نعم ...

– سمعت أنه تزوج من ابنة الدكتور " مانهايم " ... ولكن يبدو ...

فقاطعته قائلة :

– إننى لست هى .. إننى الزوجة الثانية له حيث توفيت الزوجه الاولى فى أمريكا ...

– نعم .. لقد تذكرت .. فبعد وفاتها رحل عن الولايات المتحدة وذهب إلى انجلترا ثم اختفى بطريقة مثيرة ....

لقد تلاشى عندما كان يحضر أحد المؤتمرات في باريس وذهب إلى المجهول !!

شعرت " هيلارى " بالقلق بسبب براعة هذه المنظمة الشيطانية في تدبير الخطط المحكمة وخداع السلطات ... لقد اتخذوا كافة الاحتياطات لحمايتها وتتبع خطواتها ، و لكن المنظمة نجحت في خداعهم والذهاب بها إلى هذا المكان المجهول ولا أحد يعرف أين هى الآن ..

وعندما يطالعون في صحف الغد نبأ وفاتها في حادث طائرة سوف ينتهى بالنسبة لهم ولن يهتم أحد بالبحث عنها ...

ترى هل سيعرف " جيسوب " الحقيقية ؟ لقد دبروا الخدعة ببراعة منقطعة النظير ولن يتمكن أحد من تمييز معالم أى جثة من الجثث المحترقة....

ولكن إلى تذهب بهم هذه السيارة ؟ انها تخترق قلب الصحراء فهل ستنقطع صلتها بالعالم بعد ذلك ؟ ان هذا شئ مخيف ....

قالت لمسز " بيكر " :

- إلى أين ستذهب ؟

- لا تتعجلى الأمور .... ستعرفين كل شئ فى الوقت المناسب ...

انطلقت السيارة بسرعة بينما بدأت " هيلارى " تشعر بالقلق ...

كانت السيارة تخترق طريقا مقفرا للغاية وفشلت محاولاتها فى تحديد الطريق فاستسلمت للنوم ....

استيقظت على صوت " بيترز" يقول لها :

- يبدو أننا وصلنا ...

وجدت " هيلارى " الظلام حالكاً وقادهم رجل علي ضوء أحد المشاعل حتى وصلوا إلى منزل ريفى محاط بأشجار النخيل وأمامه امرأتان من البربر ...

خصصت غرفة للنساء الثلاثة " هيلارى " و مسز " بيكر " والراهبة ... وكانت الحجرة خالية من الأثاث عدا بعض الفراش على الأرض ...

فقالت مسز " بيكر " :

- كم أتمنى أن أقضى ليلتى فى فندق فخم بعد هذه الرحلة المرهقة ..

قالت الراهبة بصوت خشن :

- إن الدعة والراحة تقتل الهمة وتؤدى فى النهاية إلى الذل والخضوع ..

قالت مسز " بيكر " :

- إننى لست مثلك ... فبإمكانك النوم على الحصر والحجارة أما أنا فلا

أتحمل ....

ثم قالت لـ " هيلارى " :

بعد العشاء سوف أعطيك قرصا من الأسبرين حتى يمكنك النوم ...

وبعد العشاء وتناول الشاى غرق الثلاثة فى نوم عميق ..

***

فى صباح اليوم التالى قالت مسز " بيكر " لزميلتيها :

– سوف نستأنف الرحلة فى المساء ...

ثم وضعت على الأرض بعض الثياب الوطنية وقالت :

– سوف نرتدى الثياب الوطنية لمراكش ونخلع ثيابنا ...

وخلال النهار راحت " هيلارى " تتطلع من فوق سطح المنزل إلى قرية تبدو على البعد وهى من القرى الريفية وتشاهد ماحولها من المناظر الطبيعية ...

بعد الغروب أعلنت مسز " بيكر " إنهم سيواصلون الرحلة ولم يركبوا سيارة ميكروباس كالمرة السابقة ، بل ركبوا سيارة سياحية مكشوفة ...

كانت النساء يرتدين الثياب الوطنية ويضعن النقاب على وجوههن أما الرجال فكانوا يلبسون الجلاليب والعباءات ....

استمرت الرحلة الشاقة خلال الليل وشعروا جميعاً بالارهاق فنام بعضهم وغرق البعض الآخر فى الصمت والتأمل ...

أشرقت الشمس ولكن السيارة مازالت تواصل اختراق الصحراء ، وأخيراً توقفت ونزلوا منها لتناول طعام الإفطار ...

قال " بيترز " لـ " هيلارى " :

- يبدو أنك تشعرين بالارهاق الشديد ...

- نعم .. كانت رحلة شاقة .. ترى أين نحن الآن ؟

- لست أدرى ، ولكن ذلك من أهم عناصر خطتنا حتى لا يستطيع أحد تتبع آثارنا والوصول إلينا .. فى البداية ركبنا سيارة ميكروباص مملوكة لإحدى شركات التعدين ثم سيارة سياحية وكنا على صورة جماعة من الوطنيين وهذا يحدث كثيراً هنا ، أما المرحلة التالية من الرحلة فلا أعلم عنها أى شئ ..

- ولكن إلى أين نحن ذاهبون ؟

- لا فائدة من إلقاء مثل هذه الزسئلة لأنك لن تحصلى على أى جواب ..

***

استمرت الرحلة أياماً .. ورغم أن " هيلارى " كانت تعيش مع هذه المجموعة طوال الليل والنهار إلا أنها كانت تنفر من زفكارهم وتشعر بأنهم غير أسوياء ...

كلا منهم مصاب بنوع من الهوس ... فالدكتور " بارون " مثلاً يتمني

الحصول على مبالغ طائلة من النقود حتي يواصل تجاربة المعملية للتوصل إلى قوة تدميرية هائلة فى حجم صغير للغاية كحجم أنبوبة الاختبار ....

قالت له " هيلارى " يوماً :

- وإذا حصلت علي هذه القوة فهل يمكنك استعمالها فى التدمير ؟

فنظر إليها نظرات تدل على الهوس وقال لها :

- وما المانع ؟ لابد من استعمالها فى وقت الضرورة ...

شعرت بالخوف الشديد منه ومن الآخرين .... ان ما يفكرون فيه لهو شئ رهيب ... فهذا المجنون يتحدث عن سلاح رهيب يبيد ملايين البشر بكل بساطة ..

أما " هيلدا نيدهايم " فكانت " هيلارى " تكرهها بشدة ... كانت مغرورة ومتعجرفة ...

شعرت بالميل نحو " اندرو بيترز " رغم أنها فزعت منه بسبب نظراته التى كانت تدل على الهوس أحياناً ..

فى أحد الايام قالت له :

-إننى لا أصدقك.أنك تريد إقامة حياة جديدة نظيفة ... أنك تريد تدمير الكون ...

قال بلهجة الاستنكار :

- ماهذا الذى تقولين يا " أوليف " ؟

– إن الأمر فى غاية الوضوح فكراهيتك للحياة وللناس لا تخفى على أحد ....

كانت " هيلارى " تنظر الى " ايريكسون " على أنه رجل يعيش فى الأوهام ويتعلق بالمثاليات المستحيلة ...

سمعتة يردد :

– يجب أن يسيطر العلماء على العالم ، فمن الخطأ أن يتولى مسئولية الحكم غير العباقرة من أمثالنا ...

فى اليوم الثالث توقفوا فى قرية صغيرة حيث نزلوا بفندق متواضع فطلبت منهم مسز " بيكر " أن يخلعوا الثياب الوطنية ويرتدون ثيابهم الأوربية مرة أخرى...

قالت لهم :

– أرجو أن تنتهوا بسرعة حتى نلحق بالطائرة ...

قالت " هيلارى " متعجبة :

– طائرة ؟ !

– نعم ... لقد تحطمت ضلوعنا من هذه السيارات ......

بعد قليل كانوا يستقلون هليكوبتر صغيرة قادها طيار فرنسى بارع لعدة ساعات فوق الصحراء والجبال الشاهقة ...

بعد ظهر اليوم التالى هبطت بهم الطائرة فى سهل محاط بالجبال وفى أقصى السهل مبنى أبيض ...

قالت لهم مسز " بيكر " :

– عليكم الذهاب إلى هذا المبنى للاغتسال وتناول الطعام والشراب قبل مواصلة الرحلة ... وبعد أن تناولوا الطعام واستراحوا قليلاً ....

قالت لهم مسز " بيكر " :

– سوف أترككم هنا أيها الأصدقاء الأعزاء .. فهذه هى المرحلة الأخيرة للرحلة ..

سألتها " هيلارى " قائلة :

– هل ستعودين إلى مراكش مرة أخرى ؟

– كلا بالطبع .. هل نسيت اننى الآن فى عداد الموتى ؟ ألم تحترق بى الطائرة ؟

لدى العديد من المهام فى دول أخرى ...

قالت " هيلارى " :

– ألا تخشين من مقابلة أحد من معارفك بالمغرب ؟

قالت وهى تضحك :

– انه ليس بالمأزق الصعب يا فتاتى ... سوف أزعم ان التى احترقت هى شقيقتى التوأم وبالطبع سوف أغير اسمى ولو ن شعري ونبرات صوتى...

ثم ودعت مسز " بيكر " رفاقها واستقلت الطائرة ....

وبعد قليل أعلن احد الخدم ان السيارات جاهزة للرحيل ...

وجدت " هيلارى " سيارتين يقود كلا منهما سائق يرتدى زياً رسمياً ، فجلست فى السيارة ، الأولى بجوار السائق الفرنسى وكانت تحدثه بين الحين والآخر عن بعض المشاهد التى تمر بها ثم سألته :

– هل تستغرق الرحلة وقتا طويلا ؟

– كلا ... ان الرحلة من المطار إلى المستشفى تستغرق حوالى ساعتين...

– المستشفى ؟!

ثم انتبهت إلى أن " هيلدا نيدهايم " كانت ترتدى زى الممرضات الآن .. سألت السائق :

– ماذا تعرف عن هذه المستشفى ؟

– إنها من أحدث المستشفيات فى العالم وتوجد بها أجهزة علمية راقية ، وبين الحين والآخر يزورها كبار الأطباء ويبدون إعجابهم بهاوبما يجرى فيها من أبحاث متقدمة لخدمة البشرية .

قالت " هيلارى " :

– بالطبع ..إن هذا شئ مؤكد ..

– فى الماضى كان هؤلاء التعساء ينفون إلى الجزر المهجورة حتى يرحمهم الموت من عذابهم ، أما فى الوقت الحاضر فإنهم يعالجون بالدواء المدهش الذى قام الدكتور " كولونى " باكتشافه ، وقد حقق هذا الدواء

نجاحاً ساحقاً فى معالجة كل الحالات حتى المستعصية منها ...

وتعجبت " هيلارى " لحديث السائق .. فمن هم هؤلاء التعساء الذين تحدث عنهم ؟ ومن أى مرض يعالجون ؟

استقبلهم رجل زنجى أمام باب المستشفى ودعاهم للدخول.....

دخلوا إلى فناء متسع حوله سور من القضبان والاسلاك وخلف هذه القضبان بعض الناس يروحون ويغدون ...

وما كادت " هيلارى " تنظر إليهم حتى شهقت قائلة :

- يا إلهى انهم مرضى بالجذام ...

***

# الفصل السادس

بمجرد دخولهم إلى المستشفى أغلقت البوابة خلفهم ورن صوت الباب رنيناً حاداً فشعرت " هيلارى " بالخوف الشديد أن تظل حبيسة فى هذا المكان ....

هل يمكن أن تكون هذه هى النهاية ؟

إن الأعداء يحيطون بها فى هذه المنطقة المجهولة ، ومن المؤكد أن كل شئ سوف ينكشف بعد لحظات ويفتضح أمرها ... قالت لنفسها :

– لقد وقعت فى فخ محكم لا فكاك منه ... لأن " توماس بيترثون " بمجرد أن يرانى سوف يصرخ : إن هذه ليست زوجتى " أوليف " ...

وعلى الفور يتم القبض على لأننى جاسوسة ...

خطرت ببالها فكرة جريئة ...

لم لا تعكس الموقف ... فقبل أن يصرخ " بيترثون " قائلاً أنها ليست زوجته ، ستصرخ هى قائلة :

- إن هذا الرجل ليس زوجى ...

ستحاول إتقان دورها وافتعال الدهشة والرعب ...

ومن المؤكد أنهم سيرتابون فى أمر الرجل ويتساءلون : هل هو حقاً العالم الشهير " توماس بيتوتون " أم أنه شخص ينتحل شخصيته للتجسس عليهم ؟

وبالطبع لا يمكن أن يشكوا فيها فى هذه الحالة .. ولكن ... فى هذه الحالة سوف تحكم على " بيترتون " بالموت ... فهل يرضى ضميرها بذلك ؟

ولكن .. كلا .. إنه يستحق الموت .. لقد خان بلاده وباع أسرارها لهؤلاء الشياطين فهو لا يستحق أى رحمة ...

أقبل عليهم رجل ضخم الجسم وسيم الوجه راح يصافحهم فرداً فرداً ..

صافح " هيلارى " و قال لها :

- من المؤكد أنك متلهفة للقائه ؟

شعرت باضطراب شديد وأصابها الدوار .....

وعلى الفور وضع " اندرو بيترز " يده على زراعها وقال للرجل العملاق :

- إنك لا تعلم ان مسز " بيترتون " تعرضت لحادث سقوط طائرة وأصيبت بارتجاج فى المخ ، ثم قطعت هذه المسافات الطويلة وهى ما تزال فى فترة النقاهة ، ولذلك فإن حالتها سيئة للغاية ويجب أن تستريح تماماً فى غرفة مظلمة لمدة ساعتين على الأقل.....

ولأول مرة تشعر " هيلارى " أن هناك إنسانا يحمل قلبه ذرة من الرحمة

وسط هؤلاء الناس .

ولكنها استجمعت شجاعتها وقالت بثقة :

- كلا ... إننى أريد أن أقابل " توم " حالاً ... أرجوكم اذهبوا بى إليه ...

قال العملاق :

- معك حق ...إننى أقدر مشاعرك تماماً ...

ثم أشار إلى امرأة تقف خلفه وقال :

- أقدم إليكم مسز " جينسون " :

ثم قدم إليها القادمين وبعد أن انتهى قال :

سوف تصحبكم مسز " جينسون " إلى مكتب التسجيل أما أنا فسوف أصحب مسز " بيترتون " إلى زوجها وسأعود إليكم بعد قليل ...

تبعته " هيلارى كرافن " وعندما التفتت إلى الوراء وجدت " اندرو بيترز " ينظر إليها كما لو كان يريد أن يذهب معها ...

قال لها الرجل :

- اننى أدعى " بول هايديم " ...

قالت " هيلارى " :

- ولكن الأمر مخيف للغاية .. كيف يمكن احتمال الحياة هنا وسط هؤلاء المجنومين ؟

- سوف يصبح الأمر مألوفاً لك بعد فترة قصيرة ...

توقف أمام أحد الأبواب وقرعه وبعد لحظات فتحه وقال :

– هاهى زوجتك يا " بيترتون " ... لقد حضرت أخيراً ...

ثم تنحى عن الباب ليفسح لها مكاناً للدخول ......

أخيراً جاءت اللحظة الحاسمة .. لا سبيل أمامها للتراجع .. دخلت بخطى ثابتة .. كان الرجل ينظر من النافذة ، وعندما استدار إليها وجدته شديد الوسامة .. أنه يختلف كثيراً عن الصورة التى رأتها مع " جيسوب " ...

وقررت على الفور أن تنفذ خطتها ...

تراجعت إلى الخلف بسرعة وقالت بصوت ينطوى على الفزع :

– ما هذا ؟ إن هذا الرجل ليس زوجى " توم " ؟

ويبدو أنها نجحت فى تمثيل دورها ببراعة شديدة لأن " فان هايديم " نظر إليها بإعجاب شديد بينما قال " بيترتون وهو يضحك بهدوء :

– لقد نجحنا إذن .. إن زوجتى نفسها لم تعرفنى !!

ثم أسرع إليها على الفور وضمها إلى صدره وهو يقول بصوت متهدج :

– حبيبتى " أوليف " .. لك حق ألا تعرفينى بعد أن تغير وجهى كثيرا ...إننى آسف ...

ثم مال عليها وهمس فى أذنها :

– أرجوك أن تمثلى دور زوجتى وإلا هلكت ... إننى في خطر شديد ..

تركها قليلاً ثم عاد يضمها وهو يقول .

- أشعر بأن الشهور التي ابتعدت فيها عنك كأنها سنين طويلة .. ولكننا التقينا أخيراً ...

كانت أصابعه تقبض على يدها وتحذرها من الغدر به ..

قال :

- أعتقد أنك تأكدت الآن أنني " توم " ..

شعرت " هيلاري " بالسعادة الطاغية .. لقد هيئت لها الأقدار مخرجاً من هذه الأزمة لم يخطر ببالها أبداً ...

فقالت :

- بالطبع يا حبيبي ... أنت " توم " العزيز .. لقد أصبت بارتجاج في المخ جعلني أصاب بفقدان الذاكرة في بعض الأحيان ، ولكن هذا لا يستغرق إلا لحظات قليلة من حسن الحظ ...

قال " بيترتون " :

- أما أنا فقد تعرضت لحادث سيارة ، وقام الدكتور " هيرتز " جراح التجميل بإجراء عملية لإصلاح أنفي .....

ثم أستدار إلى " فان هايديم " فوجده يبتسم مسروراً فقال :

- لا داعي للقلق بسبب الارتجاج ياعزيزتي ... سوف تصبحين في أحسن حال بعد الحصول على قدر من الراحة والرعاية ...

انسحب " فان هايديم " وأغلق الباب خلفه وعلى الفور ضمها " بيترثون " إلى صدره وهمس قائلاً :

– فلنستمر فى تمثيل الدور فقد تكون هناك ميكروفونات مخبأة ...

فهمست بدورها :

– أو كاميرات يراقبوننا من خلالها ...

فأخذا تينا جيان ويستعيدان ذكرياتهما السعيدة وعندما سألته "هيلارى" قائلة :

– ترى هل أنت سعيد في هذا المكان ؟

قال :

للغاية ...إن الحياة هنا رائعة حقاً ...

ولكن نظراته كانت تعبر عن القلق والخوف فسألته قائلة :

– ألا توجد خطورة من العيش وسط هؤلاء المجنومين ؟

– إن هذا مجرد ستار نخفى وراءه أبحاثنا الحقيقية ....

هيا بنا لنلقى نظرة على جناحنا ...

وبعد أن طاف غرف الجناح قال لها :

– هل تحبين أن تستريحى قليلاً ...

– كلا ....

– هيا بنا إلى مكتب التسجيل ....

كانت المسئولة عن مكتب التسجيل سيدة تتميز بالصرامة والجمود ... رحبت بالدكتور " بيترتون " بكلمات مقتضبة وقالت :

- أخيراً وصلت مسز "بيترتون " .....

رجحت " هيلارى أن تكون المرأة سويسرية ، وأشارت إليها بالجلوس ثم قدمت إليها بعض الاستمارات وراحت تدون بياناتها ....

فقال " بيترتون " :

- سوف أذهب إلى عملى ويمكنك اللحاق بى بعد الفراغ من التسجيل ..

قالت المرأه لـ " هيلارى " :

- أريد اسمك بالكامل وسنك ومحل ميلادك وأسماء أبويك والامراض الخطيرة التى أصابتك و الاعمال التى التحقت بها وهواياتك ومؤهلاتك والطعام الذى تفضلينه وهناك المزيد من الأسئلة التى ستجيبين عليها فيما بعد ....

راحت " هيلارى " تجيب على جميع الأسئلة بثبات بينما كانت السيدة تدون تلك الاجابات ...

وقالت أخيراً :

- هذا يكفى لمكتب التسجيل ... والآن يجب عليك الذهاب إلى الطبيبة لكى تفحصك ...

شعرت " هيلارى " بالقلق فسألتها :

- هل هذا أمر ضرورى ؟

- نعم .... إنه ضروري للغاية فكما تعلمين إننا نسعى إلى الكمال ونسجل كل شئ بدقة ...

وبعد أن فحصت الطبيبة " هيلاري " فحصاً دقيقاً قالت لها :

- عليك الآن أن تذهبي إلى الدكتور " روبيك " ...

سألتها " هيلاري " :

- من هو الدكتور " روبيك " هذا ؟

-إنه الطبيب النفساني . ....

-إن الأمر في غاية البساطة يا مسز " بيترتون " مجرد اختيار للذكاء وتحديد الملامح الأساسية لشخصيتك ...

وجدت " هيلاري " الدكتور " روبيك " رجلاً سويسرياً في نحو الأربعين من عمره ...

وبعد أن رحب بها وفحص البطاقة التي أرسلتها الطبيبة قال لها :

-إن صحتك على ما يرام يا مسز " بيترتون " ....

سمعت انك تعرضت لحادث سقوط طائرة منذ فترة وجيزة ... هل حدث ذلك حقاً ؟

- نعم ... وقد أمضيت خمسة أيام في إحدى المستشفيات في كازابلانكا.......

هتف الطبيب بانفعال :

– إن هذه الفتره غير كافية على الأطلاق ...

– كنت أتلهف على مغادرة المستشفى ومواصلة رحلتى ...

– لقد أسأت التصرف يا سيدتى .. ان هذه الإصابة تحتاج الى فترة طويلة من الرحلة التامة ، فرغم أنك تشعرين بالتحسن فى البداية الإ أنك عرضة للآثار الجانبية الخطيرة ، وأرى الآن أن أعصابك مضطربة لا شك أن خوضك لهذه الرحلة الشاقة بعد الإصابة هو السبب فى ذلك ...

هل تشعرين الصداع ؟

– نعم .. أشعر بصداع شديد فى بعض الأحيان ودوار كما أننى أفقد ذاكرتى لبعض الوقت ...

– هذه أعراض طبيعية سوف تزول بالعلاج والراحة ...

ثم أخذ يجرى عليها بعض الاختبارات ويوجه إليها الأسئلة ويدون النتائج فى استمارة أمامه ثم قال أخيراً :

– إننى أكون سعيداً عندما أفحص إنساناً عادياً لا يتمتع بالعبقرية .. أرجو لا يغضبك قولى ...

فضحكت قائلة :

– ماذا يغضبنى فى ذلك ؟ أعلم جيداً أننى لست عبقرية ....

– قد يحسدك العباقرة على ذلك فإن حياتهم لا تطاق .. اننى أتعامل هنا مع هذا النوع وهم معرضون للإصابة باضطرابات عصبية دائماً ... ان أعصاب العالم العبقرى تكون متوترة دائماً رغم ما يبدو عليه من هدوء

ظاهرى ....

قالت " هيلارى " :

- معك حق ... لقد رأيت ذلك بنفسى ...

- كانت تتحدث بوصفها زوجة للعالم " بيترتون " عاشرتة فترة طويلة تكفى للحكم عليه ..

فمد إليها يدة مصافحاً وقال :

- سوف تذهبين الآن إلى الآنسة " لاروش " لتذهب معك إلى قسم الملابس حتى تختارى ما يناسبك منها ...

وجدت " هيلارى " الآنسة " لاروش " تتميز بالجاذبية والمرح بعكس باقى النساء فى المستشفى قالت لها :

- إننى سعيدة بالتعرف على امرأة جذابة مثلك وأرجو أن أوافق فى مساعدتك ، ولاشك أنك الآن فى حاجة إلى ثياب لا ستبدال ثيابك الحالية ، وبعد أن تحصلى على قدر من الراحة يمكنك العودة في الأيام التالية لإلقاء نظرة على مالدى من ثياب ومستحضرات التجميل ...

قالت " هيلارى " :

- إننى الآن فى أمس الحاجة إلى مشط ...

ضحكت مس " لاروش " وأخذت تدون مقاسات الفتاة فى مفكرة لديها وقالت :

وسوف أبعث إلى غرفتك بكل ما طلبت وأتمنى أن تترددى على محلنا كل

فترة .. إننى أرى أن ذوقك رائع بعكس النساء العالمات ... إن مستحضرات التجميل لا تهمهن على الاطلاق ...

منذ قليل كانت عندى إحداهن إنها زميلتك فى السفر ... وهى امرأة لاتطاق ...

قالت " هيلارى " :

– يبدو أنك تتحدثين عن " هيلدا فيد هايم " ...

– نعم ... إنها عالمة ألمانية ... ومعروف عن الألمانيات عدم الاهتمام بالتجميل رغم أنها سوف تصبح رائعة الجمال إذا اهتمت بنفسها قليلاً .. لقدفهمت انها دكتورة ولكن الرجل لايهتم بالمؤهلات العلمية فى المرأة بل يهتم بجمالها ...

انظرى .. هاهى امرأة لا يمكن أن ينظر إليها الرجال ...

التفتت " هيلارى " فرأت مسز " جيسون " بوجهها الجامد ونظارتها العتيقة وهى تقف أمام مدخل الباب ...

قالت لـ " هيلارى " :

– مسز " بيترتون " إذا كنت قد فرغت فهيا بنا لمقابلة الدكتور "نيلسون" نائب المدير ...

إنه دكتور فى الإدارة .. فى العادة يقابل الوافدين الجدد ولا تتكرر هذه المقابلة إلا إذا واجهت أى مشاكل ...

***

صافحها الدكتور " نيلسون " بحرارة ثم قال :

– دعيني اولاً أهنئك على سلامة الوصول وعلى النجاة من هذا الحادث المروع الذى وقع لطائرتك ....

– أشكرك يا سيدى ...

استطرد الكتور " نيلسون " قائلاً :

– انني على استعداد للإجابة على كل ما يخطر ببالك من أسئلة ...

شعرت " هيلارى " بالحيرة وقالت أخيراً :

– بصراحة ... أريد أن أعرف أين أنا الآن ؟ هل يمكنك الإجابة عن هذا السؤال ؟

اتسعت ابتسامة الرجل وقال :

– من المؤكد انكم تظنون أنفسكم وراء الستار الحديدى وذلك يعود إلى ما يقولونه عنا من أكاذيب ...

ولكن كما قلت لك ان كل هذه أكاذيب فنحن هنا في قلب الصحراء المغربية بأفريقيا ، وما هذه المستعمرة للجذام إلا ستار يحمى علماءنا الأفذاذ من الفضوليين ...

قالت :

– معك حق .... لقد كنت أظن في البداية أننا وراء الستار الحديدى ..

– إن الوضع هنا يختلف تماماً .. فرغم أننا نعيش في عزلة عن العالم إلا

أن وسائل الترفية متوافرة .....

بالطبع سيكون زوجك مشغولا طوال الوقت بعمله ويمكنك التعرف بزوجات العلماء وستجدينهم على قدر كبير من اللطف ...

قالت وهى مترددة :

- ترى هل يسمح لنا بالخروج من هنا ؟

قال :

- الخروج ؟

- اننا نعيش فى عالم متكامل يتحقق فيه الأكتفاء الذاتى ولسنا فى حاجة إلى العالم الخارجى ، وكل وافد إلينا يعلم هذه الحقيقة ولا يفكر في الخروج من هنا ...

***

# الفصل السابع

عادت " هيلارى " إلى الجناح الذى سوف تقيم فيه مع زوجها المزعوم "بيترتون" قالت له :

-إن الحياة هنا تشبه الحياة فى المدارس الداخلية ...

قال " بيترتون " :

- نعم ... ففى البداية شعرت بمثل هذا الشعور .. ولكنه شئ رائع أن يرتد الانسان إلى عالم الطفولة الجميل ..

استمر الحوار بينهما على هذه الصورة وكانا فى غاية التحفظ خشية أن يكون هناك ميكروفون خفى ينقل أحاديثهما إلى الآخرين ...

تعجبت "هيلارى" من موقفها الشاذ ..فهى تعيش فى غرفة واحدة مع هذا الشخص الغريب وكلاهما يشعر بالقلق والخوف من الآخر ...

قالت ببساطة :

- لقد قاموا بإجراء العديد من الفحوص الطبية والنفسية على ...

- انهم يفعلون ذلك مع كل القادمين الجدد فهذه كلها اجراءات روتينية.

- وأنت أيضاً تعرضت للفحص ؟

- بالتأكيد ...

- وبعد انتهاء الفحص التقيت بالدكتور " نيلسون " نائب المدير وتحدثنا بعض الوقت .

- ان هذا الرجل إدارى بارع .

- ولكننى لم أقابل المدير ... ترى هل سأقابله فيما بعد ؟

- لا أعتقد ذلك انه يلقى علينا بعض المحاضرات أحياناً ، وهو يتمتع بشخصية رائعة ...

وعند هذا الحد قطب جبينه فأدركت انه يريد التوقف ...

بعد قليل قال لها :

- فى الساعة الثامنة يبدأ هنا موعد تناول العشاء ، فهيا بنا حتى نتهيأ للنزول إلى قاعة الطعام ...

ذهبت إلى غرفتها و أبدلت ثيابها وتحلت ببعض الحلى المقلدة ثم هبطت مع " بيترتون " إلى القاعة وكانت مسز " جيسون " فى استقبالهما فقالت :

- لقد حرصت على أن أخصص لك يا " توم " مائدة كبيرة وسيشارككما فيها رفاق زوجتك فى الرحلة وكذلك " مارشيسون " وزوجته...

وجدا على المائدة " اندى بيترز " و " ايريكسون " فقدمت إليها زوجها

زوجها المزعوم ، وبعد قليل حضر الدكتور " مارشيسون " وزوجته فقدمهما إليهم قائلاً : - أن " سيمون " يعمل معى فى نفس المعمل .

كان " سيمون فى نحو السادسة والعشرين من عمره شاحب الوجه نحيف الجسم بعكس زوجته " بيانكا " التى كانت ممتلئة الجسم ...

رحبت " بيانكا " بـ " هيلارى " ثم سألتها بشئ من التحفظ !

- أعتقد أنك لست عالمة ؟

- كلا ... لقد عملت سكرتيره فترة طويلة قبل أن أتزوج ...

قال الدكتور " سيمون مارشيسون " :

- لقد درست " بيانكا " الاقتصاد والقانون التجارى ، وهى تلقى علينا المحاضرات فى بعض الأحيان ولكن لا يحضرها عدد كبير ...

قالت " بيانكا " :

- حتى لا أشعر بالملل هنا بدأت أدرس أحوال هذا المجتمع من أجل تطويره ويمكن أن تقوم مسز " بيترتون " بمساعدتى إذا لم تكن مرتبطة بعمل أخر ....

اضطرت " هيلارى " الترحيب بهذا الاقتراح بينما قال " اندرو " :

- إننى أريد البدء فى العمل فوراً حتى لا يصيبنى الكسل .

قال " سيمون " :

-إن هذا أفضل مكان فى العالم للبحث العلمى ، فالأجهزة متوافرة ولا

يوجد أحد يتدخل فى عملك أو يقطع أفكارك ....

وراح " بيترز " يتحدث مع الدكتور " سيمون " فى المسائل العلمية فقالت "هيلارى لا يريكسون " :

- هل بدأت تشعر بحب الوطن ؟ انى أرى عينيك شاردتين ..

قال :

- إنى لا أحفل بهذه الشعارات الجوفاء .. حب الوطن والروابط الأسرية ورعاية الأطفال ومشاعر الحب والوفاء ... إن كل هذه قيود سخيفة تقيد الانسان وتحد من انطلاقه فيجب التخلص منها ...

- وهل تشعر بأنك ستكون هنا حراً طليقاً ؟

- أرجو ذلك رغم أننى لم أعرف الحقيقة بعد ...

قالت " بيانكا " لـ " هيلارى " :

- يمكننا أن نمارس الكثير من الألعاب المسلية بعد العشاء مثل البريدج وألعاب الورق ، كما أن قاعة السينما تعرض أحدث الأفلام ، وهناك قاعة للتمثيل وكذلك سهرات راقصة ...

قال " ايريكسون " :

- إن كل هذا مضيعة للوقت ولايمكن لأى عالم أن يضيع وقته فى مثل هذه الأشياء ....

قالت له " بيانكا " بحدة :

– ولكن هذه الأشياء ضرورية للغاية حتى نستطيع مواصلة العيش هنا....

فنظر إليها ببرود بينما قالت " هيلارى " :

– سوف أنام الليلة مبكراً لأننى أشعر بالإجهاد الشديد .

قالت " بيانكا " :

– هذا حقك ياعزيزتى بعد كل الأهوال التى كابدتها ....

قال " بيترتون " :

– إ ن الجو رائع فلم لا تصحبينا يا "أوليف " إلى حديقة السطح قليلاً ؟

وجدت " هيلارى " أن حديقة السطح تحفة فنية رائعة حيث كانت حافلة بأروع الزهور كما كانت تتوسطها نافورة جميلة يتدفق منها الماء بينما تنعكس عليها الأضواء الملونة ...

قالت " هيلارى " :

– إننى لا أصدق عينى .. كأنى أعيش إحدى قصص ألف ليلة ... كل هذا الجمال فى قلب الصحراء ؟

قال " سيمون مارشيسون ":

– معك حق ، ولكن توافر الماء الغزير و الأموال الكافية يتيح لنا عمل المستحيل ...

– ومن أين يأتى هذا الماء الغزير ؟

– من نبع قمنا بحفرة فى قلب الجبل باستخدام أحدث الأساليب العلمية...

قضوا وقتاً طيباً فى حديقة السطح ثم بدأوا فى الانسحاب واحداً واحداً وتبقى فى النهاية "بيترتون" و" هيلارى" ...

أمسك بيدها وقادها إلى أحد المقاعد المتطرفة وحدق فى وجهها وقال :

– أريد أن أعرف ... من أنت ؟

أخذت بدورها تتفرس فى وجهه ثم سألته :

– لماذا كذبت عليهم وأدعيت أننى زوجتك ؟

– مجرد نزوة .... لقد تخيلت أنك جئت إلى هنا لإنقاذى ومساعدتى على الخروج من هذا المكان ...

فقالت :

– أريد أن أعرف الطريقة التى جئت بها إلى هنا ؟

ضحك ضحكة باهتة وقال :

– لم يتم اختطافى عنوة كما تتخيلين .. لقد جئت إلى هنا بمحض إرادتى وكنت متحمساً للغاية ..

– هل تخيلت أنك سوف تصل إلى هذا المكان ؟

– كلا .. كان الوصول إلى أفريقيا هو آخر شئ يخطر ببالى ، فى البداية كنت سعيداً بهرنى البريق وخدعتنى الشعارات الكاذبة ... السلام

العالمي....الحرية .... التعاون العلمي بين مختلف الشعوب ... القضاء على استغلال الرأسمالية وتجار الموت إلى آخر هذه الشعارات الجوفاء .. لقد انخدعت كما انخدع أصدقاؤك مثل " بيترز " وغيره .....

- وماذا اكتشفت بعد وصولك ؟

- سوف تعرفين كل شئ ، ولكن أهم شئ سوف تشعرين به أنك فقدت حريتك إلى الأبد ... تلك الحرية التي كنا نحلم بها دائماً ..

إنه نفس الوضع الذي جعلني أتمرد على البقاء في انجلترا ، بل إن الوضع هناك كان أفضل ... التجسس على كل خطواتي .. متابعة كل نشاطاتي ومحاسبتي على كل كلمة أنطق بها حتى تحطمت أعصابي في النهاية ...

وهنا وجدت أن ما كنت أحلم به كان مجرد وهم وسراب وأنني نزيل سجن حصين فرغم توافر المال والأجهزة العلمية الحديثة والإمكانيات الهائلة إلا أنه سجين بكل معنى الكلمة ..

وبعد صمت قليل قال لها :

- لماذا جئت إلى هنا وزعمت أنك زوجتي " أوليف " ؟

نظرت إليه بحيرة وغمغمت :

- أوليف ...

حاولت أن تذكر له الحقيقة ولكنها شعرت بالاشفاق عليه فقال لها :

- أين أوليف ؟ هل وقع لها مكروه ؟

وأخيراً ذكرت له الحقيقة فقال :

- ماتت أوليف ؟ !

ماتت أوليف وجئت أنت لتحلي محلها .. لماذا فعلت ذلك ؟

كانت " هيلارى " تتوقع هذا السؤال وقررت أن تحجب أسرارها عنه لأنه يبدو فى حالة سيئة وربما أنهار فجأة مما يعنى هلاكها ...

لقد ذكر لها فى البداية أنه يتمنى حضورها لإنقاذه من هذا السجن وقررت أن تستغل هذه النقطة ولن تصارحه بأن " جيسوب " أرسلها للتجسس ..

قالت :

- تصادف أن كنت بجوار زوجتك فى المستشفى قبل وفاتها وقررت أن أقوم بهذه المغامرة خاصة أن قوامى ولون شعرى يشبهانها ...

- معك حق ..

- وكانت تريد أن تبلغك برسالة هامة وهذا ما دفعنى إلى المخاطرة .

- وما هى هذه الرسالة ؟

- هل تعرف شخصا يدعى " بوريس " ؟

- نعم .. " بوريس جلايدر " إنه ابن عم زوجتى السابقة ولكننى لم أقابله أبداً ..

قالت " أوليف " :

- إن هذا الرجل خطر وعليك أن تكون شديد الحذر من ناحـيته .

- ولكن لماذا يكون خطراً على ؟ ترى هل قابلها ؟

- كلا ... ولكنه أرسل إليها رسالة .. لا أعلم محتوياتها .. قالت لى : اذهب إليه وحديثه عن " بوريس " .. إننى لا أصدق أبداً .. لا يمكننى أن أصدق .. ولكن قد يكون ذلك صحيحاً .. وفى هذه الحالة يجب أن يكون "توم" على حذر ...

وقد لفظت أنفاسها الأخيرة بعد النطق بهذه الكلمة ...

- ولكن لماذا احذر من " بوريس " ؟ إننى لا أفهم أى شئ ...

- إن هذا شئ رهيب .. هل قضى على أن أبقى هنا سجيناً مدى الحياة؟

قالت " هيلارى " بثقة :

- كلا ... سوف يعمل سوياً حتى نخرج من هنا ...

- ماذا تقولين .. إن هذا مستحيل ... مستحيل ...

كلا يا صديقى .. إننى لا أعترف بكلمة المستحيل أبداً ولاشك أننا سوف تجد وسيلة للخروج من هنا .. كل ما علينا أن نفكر بهدوء ...

بالطبع كانت " هيلارى " تشعر بصعوبة الموقف ولكنها أرادت أن تبث فى نفسه الأمل والشجاعة حتى لا ينهار ثم استطردت :

- فعليك أن تتمسك بالأمل وتفكر معى فى وسيلة فعالة للخروج من هنا

...ألا تعلم أن الكثير من المساجين أفلحوا فى الهروب من السجون فى ظروف أصعب من ذلك ... يمكن مثلاً أن نحفر نفقا ..

قال بلهجة تنطوى على اليأس :

– وأين لى بالوقت الذى أقوم فيه بذلك ؟

إنهم لم يأتوا بالعلماء هنا ليرفهوا عنهم ....

إنهم يريدون اختراعات أو اكتشافات هامة ... هل تعرفين مصير العالم الذى يعجز عن ذلك ؟

– أعتقد أنهم يعيدونه إلى بلاده ...

– إنهم يقتلونه !!!

– ياإلهى .. يقتلونه ... إن هذا شئ بشع ....

– نعم ... فما حاجتهم إليه . إنه أصبح بلا نفع لهم ولا يمكنهم أن يتحملوا مشقة إطعامه وإقامته ، وأنا الآن أشعر بذلك .. لقد شل تفكيرى تماماً بعد فقدان حريتى ولم أعد قادراً على البحث ، ومنذ أن حضرت لم أفعل أى شئ وظنوا أن ابتعاد زوجتى عنى هو السبب فى ذلك فقاموا باستدعائك وإذا لم أقدم لهم شيئاً فسوف يقتلوننى بلا تردد ...

وضعت " هيلارى " يدها على ذراعه وقالت :

– لا داعى للقلق .. سوف نجد وسيلة للفرار ..

***

هناك فى مراكش عقد اجتماع فى فندق المأمون ضم مس "جانيت هيذرنجتون " ومستر " جيسوب " وآخر فرنسيا ..

لم تكن صورة مس " هيذرنجتون " كما عرفتها " هيلارى " بل كانت تبدو أصغر سناً وأكثر تألقاً وحيوية لأنها وقت لقائها بـ " هيلارى " كانت متنكرة....

قال لها " جيسوب " :

– هل هؤلاء فقط الذين اتصلوا بها فى فزان ؟

– نعم بالاضافة إلى الأمريكية التى تدعى " كالفين بيكر " .. لقد فرضت نفسها على أنا وهى ولكن هذه عادة الأمريكيين دائماً .. إنهم يتحدثون إلى الجميع ببساطة .. ولكن من العجيب أنها استقلت معها نفس الطائرة ..

قال " جيسوب " :

– هل تعتقدين أن حادث سقوط الطائرة كان مدبراً ؟

ثم قال للرجل الفرنسى :

– مارأيك يا " ليبلان " ؟

قال الرجل :

– إن هذا احتمال قائم بالفعل من المستحيل أن نتأكد منه لأن جميع الجثث احترقت ...

– وماذا تعرف عن الطيار ؟

– كان المال هو كل ما يهمه ، ولم تكن لديه أية معتقدات سياسية ..

– من الواضح أنه لم يفعل ذلك بقصد الانتحار مثلاً ...

قال " ليبلان " :

– عندما فحصنا حطام الطائرة وجدنا جثثا متفحمة تماماً لسبعة أشخاص وقد اختفت معالمها تماماً ....

قالت مس " هيذرنجتون " :

– وخلال إقامتها بالفندق تحدثت مع أسرة فرنسية ، وكان هناك ثرى سويدى يرافق إحدى نجمات السينما بالاضافة إلى المليونير اليونانى "اريستيد" ....

قال " ليبلان " :

– ان هذا الرجل عجيب لغاية ... فرغم أمواله الطائلة إلا أنه لا يحب النساء وليست له هوايات سوى جمع التحف الصينية ، وهو يقضى معظم أوقاته فى قصره بأسبانيا ...

قالت مس " هيذرنجتون " :

– ولم تتبادل مسز " بيترتون " أى حديث مع الثرى السويدى أو مع الميلونير اليونانى ...

– وماذا عن الخدم ؟

– ربما نقل إليها أحدهم أى تعليمات ... لقد قامت بزيارة المدينة القديمة مع دليل وبمجرد عودتها أعلنت أنها سوف تسافر إلى مراكش ....

قال " جيسوب " :

- أليس من الغريب ان مسز " كالفين بيكر " قررت الذهاب معها إلى مراكش رغم أنها كانت هناك منذ فترة وجيزة ؟ إن هذا شئ عجيب حقاً ....

أعتقد أن حادث سقوط الطائرة كان مدبراً ...

قال " ليبلان " :

- يمكن أن يتم الأمر ببساطة شديدة .. تهبط الطائرة فى هذا الموضع ثم تحرق عمداً ولكن ماذا عن الجثث التى وجدت بداخلها ؟

ألقى " جيسوب " نظرة على قائمة الركاب ومعه " ليبلان " ، كان مدوناً بالقائمة ما يلى :

مسز " كالفن بيكر " - أمريكية .... مسز " بيترتون " - انجليزية .... "توركيل ايريكسون" - نرويجى ... راهبة المانية ..." اندروبيترز " - أمريكى الدكتور "بارون " عالم الجراثيم الأشهر فى العالم ..

قال " جيسوب " :

- هل يتصور أحد أنهم يضحون بهؤلاء العلماء المشاهير ببساطة هكذا؟ لا شك أن فى الأمر سرا ولكن المشكلة أن الجثث وجدت متفحمة ..

فى هذه اللحظة رن جرس التليفون فتناول " ليبلان " السماعة وأنصت قليلاً ثم قال :

- إننى أنتظرهم الآن فأرسلهم بسرعة ...

ثم قال لـ " جيسوب " :

- إن رأيك صحيح يا عزيزى .. لقد أرسلت رجالى لجمع التحريات ويبدو أنهم جاءوا بمعلومات فى غاية الأهمية ...

وماذا قالوا ؟

- انتظرا قليلاً وسوف تسمع بأذنيك ...

دخل رجلان عليهما غبار السفر .. أحدهما يرتدى الثياب الأوربية والثانى يرتدى الثياب الوطنية ..

قال الأول :

- قمنا بتحريات على نطاق واسع ووعدنا من يدلى بأية معلومات بمكافآت مجزية ، وقد تمكن زميلى هو وأفراد أسرته من القيام بتحريات فى كل مكان وسوف يدلى بما حصل عليه من معلومات أمامك ...

قال " ليبلان " للرجل :

- إننى أرى على وجهك دلائل قوة الملاحظة فأرجو أن تذكر لى ما لديك .

أخرج الرجل من جيبه لؤلؤة كبيرة يميل لونها إلي اللون القرمزى وقال :

- لقد عثرنا عليها أنا ورجالى وهى تشبه إلى حد بعيد اللؤلؤة التى عرضتموها علىّ ...

تناولها " جيسوب " منه ثم قارنها بلؤلؤة أخرى كان يحملها بجيبه فوجدهما متماثلتين تماماً .....

وقد تحقق من ذلك عندما فحصهما بواسطة عدسة مكبرة ..

غمغم قائلاً :

-إن العلامة ظاهره ... لقد كانت فتاة رائعة حقاً ...

وبعد أن انتهى " ليلان " من استجواب الرجل قال لـ " جيسوب " :

– لقد عثر عليها على مسافة نصف ميل من حــطام الطائرة مما يؤكد أن جثتها ليست بين الجثث السبعة التى وجدت فى الحطام ...

ثم تناول قائمة الركاب وقال :

– " أوليف بيترتون " والدكتور " بارون " .. من المؤكد أنهما ذهبا إلى هذا المكان المجهول الأمريكية " كالفين بيكر " سوف نحاول نسيان أمرها الآن .. العالم " تروكيل ايريكسون " له أبــحاث هامة منشورة .. الأمريكى "اندرو بيترز" عالم كيماوى مرموق ، ويمكن أن تكون الراهبة الألمانية عالمة متنكرة ..

لا شك أن جمع هذه الصفوة المختارة من العلماء العظام لم يتم بصورة عشوائية ، وأنهم ما جمعوا حتى تحترق بهم الطائرة ..

من المؤكد انه تم إخراجهم من الطائرة قبل إحراقها عمداً ...

ترى من أين جاءوا بالجثث ؟

قال " جيسوب " :

-إن هذا لا يهمنا كثيراً الآن ... المهم أننا تحققنا من سلامة ركاب الطائرة ولا شك أنهم بدأوا رحلة جديدة بداية من موقع هبوط الطائرة ....

هل نبدأ خطواتنا التالية من هذا الموقع ؟

قال " ليبلان " :

– لقد ذهب الرجال إلى الموقع وزاروا جميع القرى والفنادق الريفية حتى عثروا على هذه اللؤلؤة فى إحداها ، وقد أنكر صاحب الفندق كل شئ وأخيراً اعترف أن سيارة رحلات مرت بالفندق وكان بها ستة أشخاص قالوا إنهم أعضاء فى بعثة ألمانية للتنقيب عن الآثار وأنهم يقومون بذلك دون تصريح من الحكومه ، وطلبوا منهم أن يتكتموا الأمر ومنحوهم مبلغاً كبيراً من المال ، وفى إحدى القرى المجاورة عثر أتباعنا على لؤلؤتين أخريين وتمكننا بذلك من تحديد اتجاه السياره ...

وفى اليوم التالى عثروا على ثلاث لآلئ على شكل مثلث فوق قطعة من اللبان ...

قال " جيسوب " :

– وهذا يعنى انها كانت تستقل طائرة ...

– تماماً .. فقد عثروا عليها فى مطار حربى مهجور ... وللأسف توقفت أبحاثنا هنا ولا نعرف المكان المجهول الذى اتجهت إليه الطائرة ..

***

# الفصل الثامن

قالت مس " جينسون " بطريقتها المتحفظة :

- مسز "بيترتون " لدينا اجتماع مساء اليوم حيث سيخطب المدير بنفسه

قال " بيترز " : أخيراً سوف نشاهد المدير الخفى ... لقد كنت أتمنى ذلك منذ وقت طويل ....

وجهت إليه مس " جينسون " نظرة عاتبة ثم انصرفت فقال " بيترز " لـ"هيلارى " : من الواضح أنها تقدسة كما كانوا يفعلون مع هتلر ....

قالت " هيلارى " :

- يبدو ذلك .. لا شك أنها يمينية متطرفة ...

- عندما قررت القدوم إلى هنا كنت أتطلع للحياة فى دنيا يسودها السلام والأخوة وكانت حماسة الشباب تدفعنى ، ولو كنت أعلم أننى سألقى بنفسى بين أنياب هذا المجنون لما غادرت وطنى ..

قالت " هيلارى " بحماسة :

- اننى سعيدة للغاية لسماع ذلك .. كما أننى سعيدة لأننى التقيت بك ..

قال ضاحكاً :

- لاشك أنك تشعرين بالضيق لمعاشرة العلماء ...

- نعم ... كما أنك تغيرت كثيراً خلال الفترة الأخيرة ولم تعد لديك مشاعر الكره والحقد والمرارة ...

- كلا يا " أوليف " مازال الحقد يتلظى بداخلى فهناك أشياء يجب أن يكرهها الإنسان !!

***

بعد أن تناول الجميع العشاء عقد الاجتماع فى قاعة المحاضرات وحضره العلماء والمساعدون والكيماويون ..

وجلست " هيلارى " بجوار " بيترتون " زوجها المزعوم وهى تشعر باللهفة والشوق لرؤية المدير ..

ذلك الرجل الذى يتحكم فى كل شئ ويدبر الخطط الجهنمية ..

لقد سألت " بيترتون " عنه فكانت اجاباته شديدة الغموض قال :

- لم أره سوى مرتين فقط ولكنه رجل يتمتع بشخصية جبارة ويستطيع

التأثير فى الآخرين بصورة مدهشة ويسيطر عليهم تماماً ..

بعد قليل دخل الرجل إلى القاعة ووقف أمام منصة الخطابة ..

كان متوسط الطول قوى البنيان تتألق عيناه ببريق الذكاء وتشع منهما نظرات مغناطيسية قوية ...

كان الجميع يتطلعون إليه وقد حبسوا أنفاسهم ...

قال :

– فى البداية أرحب بالزملاء الجدد الذين انضموا إلينا فى الفترة الأخيرة ...

ان الشباب هم عماد المستقبل وهم القادرون على تغيير وجه التاريخ واصلاح كل هذه الأوضاع الفاسدة التى أصبحت موجودة فى كل بلدان العالم ....

لابد من القضاء على نفوذ الرأسمالية وسيطرة أصحاب الملايين على كل أوجه النشاط .. وأمضى سلاح يملكه شبابنا هو العقول ، فلدينا هنا صفوة مختارة من العقول فى شتى المجالات .. الكيمياء ... الفيزياء .. الهندسة ... الذرة .... الطب .. فى جميع المجالات لدينا عقول متميزه ..

ومن قلب المعامل يمكننا أن ننتج القوة .. إننا فى حاجة إلى القوة التى تمكننا من إحكام السيطرة على العالم حتى نضع أفكارنا العظمى وآمالنا الكبرى موضع التنفيذ ... لن تكون هذه القوة الهائلة فى يد دولة بعينها بل ستكون ملكاً لجميع دول العالم ...

وها أنتم هؤلاء تعدون أعظم أصحاب العقول والعبقريات فى العالم وكلكم فى سن الشباب ..

سوف تتحدون العالم وتسيطرون على كل شئ بعقولكم وتقهرون رجال الصناعة والرأسماليين ....

شعرت " هيلارى " بالنفور من هذا الرجل الذى يذكرها بالزعيم النازى هتلر ...

ان لديه القدرة على إشعال حماسة الجماهير والاستحواذ على اهتمامها فقد كان الجميع مشدودين إليه بقوة مسحورين بكلماته ...

أما هى فكانت تتجنب النظر إليه وشعرت حينئذ أن كلماته جوفاء .. مجرد كلمات إنشاء وخطابة ...

استمر يخطب على هذا المنوال والجميع مسحورون بكلماته ..

وبعد أن انتهى تعالت هتافاتهم والتهبت أكفهم بالتصفيق الحماسى ..

***

بعد انتهاء المحاضرة همس " اندرو بيترز " فى أذن " هيلارى " :

– هيا بنا إلى حديقة السطح إننى أكاد أختنق وأشعر بالحاجة الشديدة للهواء النقى ...

وفى الحديقة قالت له :

- إياك أن يؤثر فيك سحر هذا الرجل .. لقد كان يدمر عقولنا ..

قالت بسخرية :

- لقد سحرتنى كلماته وأسرتنى شخصيته ، ورغم ذلك فكل ما قاله كلمات فارغة .. مجرد كلمات تثير الحماسة ..

قال " بيترز " :

- معك حق ... إننى الآن مصمم على الهروب من هنا بأى صورة ..

- كيف يمكن ذلك ؟ إننى لا أجد أى ثغرة يمكن الهروب منها ...

- كلا .. إننى أقوم بوضع خطة للهرب ..

- هل تتوقع النجاح ؟

- نعم ..

- ترى هل ستأخذنى معك ؟

تأملها قليلاً ثم قال :

- وهل تشكين فى ذلك ؟

- وماذا عن " بيترتون " ؟

انقلبت سحنته وقال :

- إن أفضل شئ لـ "بيترتون " هو أن يبقى هنا .. نعم ... إنى أعرف الكثير ..

نظرت إلية باستغراب وقالت :

- د ن الأفضل أن يبقى هنا ؟ إننى لا أفهم ماذا تقصد بذلك هل تعنى أنه قد فقد عقله وأصبح خطراً ؟

- كلا .. إن عقلة سليم مثلنا ...

- فما الداعى لبقائه هنا ؟ انه يتلهف على الهروب مثلنا ... أم لعلك تمقته لأنه با ع أسرار وطنه إلى هذه المنظمة ؟

ظهر الأسى على وجهه وقال باقتضاب :

- لقد أديت واجبى نحوك وقمت بتحذيرك وحسبى هذا ....

ولكن لماذا تهتمين بهذا الرجل ؟

كادت تصرخ فيه قائلة : إننى لا أهتم إلا بك أنت .. إننى أحبك

ولكنها أمسكت لسانها ونظرت إليه بحزن .....

***

بعد أن عادت إلى جناحها قال لها " بيترتون " :

- أرجو أن تكون قد قضيت وقتاً طيباً مع صديقك الأمريكى

أحمرت وجنتاها وقالت :

- هل تغار منه ؟ لقد كان رفيقى فى السفر ...

قال " بيترتون " :

– معك حق .. إنه وسيم للغاية وجذاب وأنت أيضاً جميلة .. من العجيب أننى لم أفطن إلى هذه الحقيقة إلا الآن فقط .. إننى أشعر بالاختناق فى هذا المكان ولا أستطيع التفكير فى شئ ..

– إن الجميع هنا يفكرون ويعملون فلم لا تعمل مثلهم وتفكر ؟

– إنهم جميعاً حمقى بلا مشاعر ..

– لا شك أن بينهم أشخاصا يتمتعون بالإحساس المرهف .. لم لا تحاول البحث عن صديق بينهم ؟

– صديقى الوحيد هنا هو " سيمون مارشيسون " ...

قالت بلهجة تنطوى على الاستنكار :

– ياإلهى ؟ كيف تستريح إلى هذا الرجل الغامض .. إننى أشعر بالخوف منه ..

– كيف ؟ إنه رجل وديع للغاية كالأطفال ...

قالت :

– كلا .. إننى أخافه وأتمنى أن تقطع علاقتك به ...

– ماالذى يخيفك فيه ؟ لماذا تكرهينه إلى هذه الدرجة ؟

– لا أعرف .. إنه إحساس داخلى ...

***

على بعد مئات الكيلومترات من المقر الخفى لتلك المنظمة جلس المفتش " ليلان " يبحث الأمر مع مستر " جيسوب " قال له :

– أرجح أنهم غادروا قارة أفريقيا بواسطة الطائرة ...

قال " جيسوب " :

– لا يوجد ما يؤكد ذلك حتى الآن ..

– نعم ولكن ...كل الاحتمالات تشير إلى ذلك ... بل إننا نعرف تقريباً تلك الجهة التى عليهم الذهاب إليها ...

– كلا .. لماذا يذهبون إليها بهذه الطريقة المعقدة إن الذهاب إلى هناك يكون أسهل كثيراً من بلدان أوربا مباشرة فلماذا يتحملون مشقة الذهاب إلى أفريقيا ثم العودة إلى أوربا مرة أخرى ثم الذهاب إليها رأساً ؟

قال " ليلان " :

– معك حق يا مستر " جيسوب " .. ولكن ربما فعلوا ذلك لتضليل من يحاول تعقبهم لمعرفة مقرهم ...

– كلا إننى أعتقد أن هناك سراً لابد من الكشف عنه ، لقد كانت الطائرة صغيرة وهى لا تصلح لعبور البحر المتوسط حتى لاتتعرض للمخاطر ولاتنس أن الأمر يستلزم ضرورة الهبوط فى عدة مطارات من أجل التزود بالوقود مما يعنيه ذلك من احتمالات انكشاف أمرهم ...

– كلا .. إنهم لم يغادرو أفريقيا حتى الآن ...

قال " ليلان " :

-ولكن أين ذهبوا ؟ لقد فتشنا جميع الأماكن ....

– لقد كنا نقوم بعملية التفتيش و نحن مقتنعون بأنهم سيعبرون البحر المتوسط إلى أوربا فلم لا نفتش جهة الجنوب والغرب ؟

– ليس هناك إلا الجبال الشاهقة وخلفها الصحراء الشاسعة بلا نهاية ..

– من يدرى ؟

***

قال العامل الأسمر الذى ينحدر من قبائل البربر لـ "أندرو بيترز " :

– لقد وعدت بأن تفى بوعدك إذا نجحنا ...

– نعم .... إننى دائماً أفى بوعدى سوف أمنحك محطة بنزين مكافأة وفى مدينة شيكاغو ..

– أتمنى أن أذهب إلي هناك حيث يقيم شقيق زوجتى ....

قال " بيترز " :

– من المؤكد أنك تعلم ماذا سيحدث إذا فشلنا ....

قال الشاب :

– نعم ... سوف يقتلونني أما أنتم فلن يمسكم أى سوء لأنهم فى أشد الحاجة إلى عقولكم ...

ورغم ذلك فإننى لا أخشى الموت ..

قال " اندرو بيترز " :

– هل عرفت تماماً ماهو مطلوب منك ؟

– نعم ... بعد حلول الظلام سوف أصعد بك إلى السطح وهناك أعطيك ثياباً وطنية مطابقة تماماً لثياب الخدم التى ترتديها ..

– نعم .. ولا تنسى مكافئتك ... محطة بنزين فى شيكاغو ...

***

فى مساء هذا اليوم أقيمت حفلة راقصة اشترك فيها الجميع ورقص "اندروبيترز" مع مسز "جينسون " وكان يهمس فى أذنيها بكلمات ناعمة مما جعل وجهها يحمر خجلاً ، وعندما مر بـ " هيلارى " غمز لها بعينه خفية ، ولكنها أشاحت بوجهها بعيداً ...

لمحت " هيلارى " " توم " جالساً فى طرف القاعة وهو مستغرق فى الحديث مع " توركيل ايريكسون " وسمعت صوتا يقول :

-" أوليف " ... هل تسمحين بهذه الرقصة ؟

نظرت إلي جوارها فوجدت أن هذه الدعوة موجهة من " سيمون مارشيسون " فقالت :

– إن هذا يسعدني ....

– ولكنني أجيد الرقص فعليك أن تحذري ...

وخلال الرقص قال لها :

– لابد أن يواصل المرء التدريب على الرقص ولكننا للأسف لا نرقص إلا نادراً ...

ماأجمل هذا الفستان ...

شعرت " هيلاري " بالاشمئزاز منه فقالت :

– أشكرك ...

وبعد قليل قال وهو يلهث من فرط التعب :

– إن الحياة هنا رائعة للغاية ... لقد قلت ذلك لـ " بيانكا " بالأمس ، فالطعام جيد ومتوافر دائماً والأجور التي نحصل عليها ضخمة للغاية ولا ندفع أي ضرائب كما أننا نلقى هنا معاملة ممتازة ..

– وهل تعتقد " بيانكا " أن الحياة هنا رائعة ؟

قال بشئ من التردد :

– ربما خالجنا شعور بالضيق في بداية حضورنا إلى هنا ولكنها اعتادت

الحياة هنا وشاركت فى الأنشطة الاجتماعية .. لم لا تشاركينها هذه الأنشطة ؟

قالت " هيلارى " :

- إننى أميل للانطواء ولا أحب النشاط الاجتماعى ..

- إن الشئ الوحيد الذى يخفف عنك الشعور بالملل هو المشاركة فى النشاط فأنت لست عالمة كزوجك ولا يوجد ما يشغلك ...

ظهر الدكتور " نيلسون " على باب القاعة وأشار بيدة إشارة خاصة فتوقفت الموسيقى وكف الراقصون عن الرقص فقال يخاطب الجميع :

- عفواً أيها الأصدقاء .. سوف تضطرون غداً إلى أن تلزموا جناح الطوارئ ولن تخرجوا منه لأن هناك بعثة قادمة لزيارة المستشفى ولا نريدهم أن يشاهدوا أحد منكم ...

لا داعى للقلق فلن يستغرق الأمر أكثر من أربع وعشرين ساعة فقط وبعدها سوف تحصلون علي حريتكم مرة أخرى ..

ثم انسحب من القاعة ليواصل الحاضرون الرقص ..

همس بيترز فى اذن " هيلارى " :

- ألايكفيهم هذا السجن الذى نعيش فيه حتى يحبسوننا فى سجن أصغر منه ؟

***

في صباح اليوم التالي دوت صفارات الإنذار

هرع الجميع إلى قاعة المحاضرات حيث أرشدتهم مس " جينسون " إلى جناح الطوارئ فتقدمتهم إلى عدة دهاليز عجيبة متعرجة كأنما صنعت خصيصاً لتضليلهم ..

سار الجميع خلفها وكان " اندرو بيترز " يتأبط ذراع " هيلارى " وأخفى في يده بوصلة صغيرة وهمس في أذنها قائلاً :

– سوف تصبح هذه البوصلة ذات نفع عظيم لنا في يوم قريب ..

أخيراً .. توقفت مس " جينسون " في دهليز طويل ثم ضغطت على موضع معين في الجدار فدار حول نفسه وكشف عن فجوة كبيرة فدخلوا جميعاً....

كان هذا هو جناح الطوارئ ..

أخرج " بيترز سيجارة وهم باشعالها ولكن صوت الدكتور " نلسون " ارتفع وهو يقول :

– ممنوع التدخين هنا أيها الأصدقاء ...

قال " بيترز " معتذراً ..

– أسف ..

وأعاد السيجارة إلى العلبة ولكنه أبقى العلبة في يد ولم يعدها إلى جيبه...

وجد الجميع أنفسهم فى قاعة فسيحة بها صفين من الأسرة أحدها للرجال و الآخر للنساء كل في ركن منها ، وفى الركن الثالث مائدة ضخمة صفت حولها المقاعد أما فى وسط القاعة فكانت هناك عدة مقاعد وثيرة ...

قالت مس " جينسون " :

– سوف تجدون هنا كل وسائل الراحة بالاضافة إلى الطعام و الشراب وبمجرد انصراف البعثة سوف تخرجون ..

***

تأملت " هيلارى " القاعة الفسيحة فوجدتها بلا نوافذ ولكنها كانت مزودة بعدة أجهزة للتكييف وكان بها العديد من رفوف الكتب ..

قال " بيترز " هامساً فى أذن " هيلارى " :

– لن يشك أحد إطلاقاً أن خلف هذه الجدران الصماء مجموعة من أعظم علماء العالم هؤلاء العلماء الذين أثار اختفاؤهم ضجة كبرى ...

استسلم الجميع للأمر الواقع واعتبروا أنفسهم فى إجازة من العمل فقضوا يومهم بين القراءة ولعب الورق والحديث ...

عندما حانت ساعة النوم نهضت " هيلارى " وألقت التحية إلى الجميع واتجهت إلى الفراش ولكنها لم تكد تمشي بضع خطوات في القاعة حتى لمس أحد الخدم ذراعها ثم قال لها هامساً :

- أرجو أن تتفضلى معى ياسيدتى :

نظرت إليه بدهشة وتسمرت في مكانها .. فقال لها الرجل الأسمر بأدب:

- أرجو أن تتبعينى يا سيدتى ...

لم تر بداً من الأذعان فسارت خلف الرجل ثم ألقت نظرة إلى الوراء فوجدت عينى " اندروبيترز " معلقتين بها وكأنه يريد أن يلحق بها ...

اتجه الخادم إلى باب سرى فى ركن القاعة فتحه بمفتاح كان يحمله فى جيبه ..

خرج من القاعة إلى دهليز قصير ثم فتح أحد الابواب فظهر مصعد صغير وطلب منها الدخول ..

بعد أن تحرك المصعد قالت " هيلارى " للخادم :

- إلى أين نحن ذاهبان ؟

- لمقابلة السيد ....إن هذا شرف عظيم ياسيدتى قلما يناله أحد ..

قالت بدهشة :

- السيد ؟ أى سيد ؟ هل تقصد المدير ؟

- كلا السيد ... سيد الجميع ..

توقف المصعد فخرج منه الخادم و" هيلارى " تتبعه حيث اجتاز ردهة جميلة وعلى الفور فتح باب فى وسطها فدعاها للدخول ..

وجدت نفسها فى غرفة رائعة تحمل الطابع الشرقى ..

وفى وسط القاعة جلس رجل فوق أريكة وهو يدخن بهدوء ..

وما كادت " هيلارى " تنظر إلى وجهه حتى صعقت ...

كان هو المليونير اليونانى " اريستيد " !!!

***

# الفصل التاسع

قال لها مستر " اريستيد " بهدوء :

– تفضلى بالجلوس يا سيدتى ..

ثم أومأ لها بيدة إلى أحد الأرائك فاتجهت إليها دون أن تنطق بكلمة ..

ضحك المليونير وهو يقول :

– من المؤكد أنك تلقيت مفاجأة غير متوقعة .. إن علامات الدهشة تظهر على وجهك ...

قالت " هيلارى " : بالطبع .. لم أكن أتصور أن ..

ثم عجزت عن إتمام عبارتها .. وكان عقلها يفكر بسرعة .. هل مستر " اريستيد " هو صاحب كل هذا ؟ إنه هو الذى أنشأ المركز العلمى ومولة ورصد أمواله الطائلة للقيام بالتجارب والأبحاث فيه .. قالت أخيراً :

- نعم ..

- وماذا عن المدير ؟

- إنه موظف لدى يدير العمل ويلقى المحاضرات ويستقبل البعثات وينفذ كل تعليماتى ..

لم تعقب علي أقواله وغرقت فى أفكارها وهى ما تزال غير مصدقة ..

قال الرجل :

- لدينا هنا الكثير من المشروبات فيمكنك أن تطلبى ما تشائين ...

إننى من أغني أغنياء العالم كما تعلمين ولعلك تعلمين أيضاً إننى أحب فعل الخير وأسعى لراحة الإنسانية وليت كل الأثرياء يفعلون كما أفعل ..

فى البداية قررت إقامة هذه المستعمرة لعلاج مرض الجذام واستقدمت أعظم الأطباء والعلماء لعلاجهم ، ورصدت الملايين من أجل اكتشاف علاج ناجح للمرض ، وبعد جهود مضنية تمكننا من التوصل إلى هذا العلاج وتم شفاء حالات كثيرة ، ولكن مازالت هناك حالات مستعصية ومازال البحث جارياً لعلاجها ..

بالاضافة إلى هذا المركز لعلاج الجذام أنشأت مركزاً لعلاج الجدرى وأخر لعلاج السرطان ..

إن مرض الجذام من أخطر الأمراض كما تعلمين وكان يتم طرد المرضى إلى خارج المدن وعزلهم ، أما هنا فإنهم يتلقون العلاج والرعاية.....

والرعاية.....

بالطبع ليست هذه المراكز العلمية لعلاج أخطر الأمراض هى فى الأساس .. إنها مجرد ستار أخفى وراءه ( مجمع العلماء ) ..

قالت " هيلارى " بدهشة :

– مجمع العلماء ؟

–إننى أقوم بجمع أعظم علماء الدنيا هنا فى أماكن خفية من هذه المستعمرة للقيام بأبحاث سرية خطيرة ..

– لا شك أنك تريدهم أن يخترعوا أسلحة مدمرة ... فلماذا تسعى للدمار يا مستر "اريستيد" ؟

قال الرجل بهدوء :

– إننى لا أسعى إلى الدمار .. إنك لا تفهمين شيئاً ، فإننى أسعى للخير دائماً .. ورغم ذلك فإننى لا أنسى أننى رجل أعمال ..

– ماذا تعنى بذلك ؟

– عندما يحصل المرء على هذا القدر الكبير من المال يشعر بأن هناك أشياء تنقصه ويبدأ بالبحث عن أشياء تسليه .. لقد بدأت بهواية جمع الطوابع ثم جمع التحف و اللوحات حتى ضقت بكل ذلك وأخيراً بدأت أجمع شيئاً أخر .. وهو العقول ..

– ماذا تقول ؟ العقول ؟

- نعم .. إنها هواية رائعة للغاية وممتعة إلى أقصى درجة .. هواية جمع عقول العباقرة وبعد وقت قصير سوف أتمكن من جمع أعظم العقول فى العالم بداخل هذا المركز .. إننى حريص علي استقدام العلماء الشبان فقط وسوف يأتى يوم قريب على العالم يخلو فيه من العلماء ولا يجدوهم إلا هنا فى المركز ، وسيعرضون على مبالغ خيالية لشراء العلماء وفى هذه الحاله سف أحدد السعر الذى يرضينى ..

- إنهم ليسوا سلعة يا مستر " اريستيد " !

- ماذا يمنع من أن يكونوا كذلك ؟

- أى أنك تقوم بذلك بعيداً عن السياسة ومن أجل المال فقط ؟

- نعم إننى أمقت السياسة ..

- ألا تسعى لأن تحكم العالم ؟

- ولماذا أشغل عقلى بذلك ؟ إننى أفكر وأتصرف كتاجر ورجل أعمال والآن بضاعتى هى العلماء ...

- ولكننى سمعت المدير يخطب خطبة حماسية عن حكم الشباب والعدالة والمساواة والقوة ....

- إن هذه مجرد كلمات جوفاء تغوى الشباب وتثير حماستهم ..

- كنت أظن أنك تسعى لأختراع أسلحة الدمار الشامل حتى يمكنك أن تهدد بها الدول ...

غرق " اريستيد " فى الضحك ثم قال :

- إن هذا لم يخطر ببالى قط ...

- كيف تمكنت من جمع كل هؤلاء العلماء ؟

- الأمر بسيط للغاية .. لقد اشتريتهم بالمال ومنيتهم بالأحلام العذبة .. فكما تعلمين فإن الشباب يحلمون دائماً بعالم مثالى ومن السهل التأثير عليهم من هذه الناحية ، بالاضافة إلى ذلك فإننى أعرض عليهم أجور ضخمة ...

هذا يفسر لى لماذا لم أجد لديهم عقيدة واحدة وأن لكل منهم عقيدة تختلف عن الأخر ...

فهذا الأمريكى " بيترز " يسارى و" ايريكسون " يفكر فى السوبر مان والانسان المتفوق ، و " هيلدا بندهايم " يمينية متطرفة متحجرة القلب تخلو من المشاعر الانسانية ، أما الدكتور " بارون " ...

فقاطعها قائلاً :

- إنه رجل يعبد المال وقد دفعت له مبالغ كبيرة ..

ولكنك امرأة شديدة الذكاء يا سيدتى فبرغم المدة القصيرة التى قضيتها هنا إلا أنك تمكنت من النفاذ إلى حقيقة كل منهم ... إنك شديدة الذكاء والبراعة وقد سافرت إلى فزان لغرض واحد فقط وهو مراقبتك ...

قالت " هيلارى " بدهشة :

- وماذا يجعلك تهتم بأمرى إلى هذا الحد ؟

– لأن العلماء العباقرة الذين يضمهم المركز لا يتمتعون بالجاذبية ويشعر الإنسان بالملل منهم بسرعة ، كما أن نساءهم يثرن الضجر، وأنت الوحيدة التى تتمتعين بالجاذبية بينهن ...

إننى لا أميل إلى وجود الزوجات هنا إلا فى حالة الضرورة القصوى ، مثلا عجز الزوج عن الابتكار أو العمل بجدية بسبب قلقة على زوجتة ، وهذا ما حدث لزوجك ولكنه خيب ظنى للأسف ...

قالت " هيلارى ":

– ربما توقف عقله بعد أن فقد حريته ...إن الحرية هى أهم شئ بالنسبة للعلماء والمبدعين ولا يمكن أن يبدعوا إلا في جو من الحرية المطلقة أما هنا فلا شك أنهم يشعرون بالقيود الثقيلة المفروضة عليهم وكأنهم فى سجن حقيقى وتنتابهم الثورة ...

– ولكننا إذا حرصنا على تقديم كل شئ للعصفور في القفص فلن يثور فلدية الطعام والشراب والرفيقة .. سوف ينسى عندئذ حياته السابقة ولا يفكر فى الحرية ...

قالت بصوت مرتعد :

– إن آراءك مخيفة يا مستر " اريستيد " ...

ولا شك أن العلماء الذين ستبيعهم إلى الآخرين سيرفضون العمل معهم فهم ليسوا سلعة تباع ومن المؤكد أنهم سوف يتمردون على سادتهم الجدد...

إن الحـرية ليست عادة ولكنها غريزة كامنة فى النفس يعرفها الطفل منذ أن تتفتح عيناه على الدنيا ...

– ولكن هناك ما يعرف بعمليات غسيل المخ ياعزيزتى ، وبمجرد أن تبدو من أحدهم بادرة التمرد سوف تجرى له هذه العملية فيعود كالحمل الوديع إن هذا يتم بواسطة عقاقير معينة لها فعل السحر ..

قالت " هيلارى " :

– ألا تخشى أن تؤدى هذه العقاقير إلى التأثير فى قواه العقلية وقدرتة على التفكير ؟

– كلا ... إن هذه العمليـة لا تؤثر على العقل .. إنـها تؤثر على السلوك فقط ...

هتفت " هيلارى " قائلة :

– إن هذا شئ رهيب ...

– لا داعى للقلق يا سيدتى .. إننا نقوم بتجارب رائدة فى هذا المجال وقد حققنا حتى الآن نتائج رائعة ...

– هل تجرى هذه التجارب على الحيوانات ؟

ضحـك الرجل وقال :

– كلا .. إننا نجريها على البشر ... أهم أفضل من الحيوانات ...

قالت مستنكرة :

- تجرونها على البشر !!

- ولم لا ؟ لقد تبين لنا أن بعض العلماء الذين أحضرناهم إلى هنا ودفعنا لهم مبالغ طائلة كانوا فاشلين ولم يحققوا أى نتائج فلماذا نبقى عليهم ؟

- ليس من حقكم أن تعاملوهم كحيوانات التجارب ..

- إن كل هذا يتم من أجل خير الإنسانية .. لابد أن يتم التضحية بعدد من الأفراد من أجل خير الجميع وسعادتهم ...

شعرت "هيلارى" أنها تتحدث مع رجل مجنون ..

قال المليونير :

- ولكن لماذا تشغلى عقلك بمثل هذه الأمور ؟ إن كل ما يهمك هو زوجك فهل تخشين أن أجرى عليه هذة التجارب ؟

- إننى الآن أتوقع ذلك لأنه لم يحقق أى انجاز حتى الآن ..

أرجوك أن تطلق سراحة وتعيده إلى بلاده ...

ضحك " اريستيد " بسخرية وقال لها :

- هل جننت حتى أعيده لبلاده كى يفشى أسرارنا ؟

- كلا .. لن يتحدث بأى شئ وسأجعله يقسم على ذلك ... إنه يفى بالقسم دائماً ...

تعالت ضحكات الرجل وقال :

– كيف تقولين ذلك وقد أفشى إلينا كل أسراره العلمية مقابل ما دفعناه إليه من أموال ؟

ورغم كل ذلك فإننى على استعداد لإطلاق سراحــه بشرط ..

– وماهو ؟

– أن تبقى أنت رهينة لدينا حــتى نضمن أنه لن يفشى أسرارنا ..... فهل توافقين على هذا الشرط يا مسز " بيترتون " ؟

كانت على وشك أن تقول له أن هذا الرجل ليس زوجها ، وإنها لم تره إلا عندما حــضرت إلى المركز ، فلا توجد أى صلة تربطها به ، ولكنها قالت :

– نعم .. إننى أوافق على هذا العرض ...

– إنك امرأة ذكية مخلصة ...

كما إنك تشبهين زوجتى بشعرها الأحمر ... لقد رحلت منذ سنوات وظننت أن جذوة الحب قد انطفأت بقلبى ولكنك أشعلتها مرة أخرى ...

سوف أكون سعيداً للغاية معك ...

نظرت إليه " هيلارى " بخوف ثم هتفت :

– كلا .. لا أريد البقاء .. دعنى أرحل حالاً .. أرجوك أطلق سراحنا ..

نظر إليها نظرة قاسية وقال :

كلا ... سوف تبقين أنت وزوجك هنا إلى الأبد ...

استيقظت " هيلارى " بعد منتصف الليل على صوت طائرة تشق سكون الليل .. هبت من فراشها وانصتت بعناية ..

كان " توم " ينام فى سرير بجوارها فأيقظته وقالت له :

– هل تسمع صوت هذه الطائرة يا " توم " ؟ يبدو أنها تطير علي ارتفاع منخفض بالقرب من هذا المبنى ...

قال بصوت يغلبه النعاس :

– إن الطائرات تمر كثيراً فوق هذ المنطقة ...

فهمست قائلة :

– لعلها طائرة جاءت لكى ...

ثم توقفت ولاذت بالصمت ..

وما لبث " توم " أن استغرق فى النوم مرة أخرى ، أما هى فقد استوت جالسة فى فراشها وهى تستعيد حديث " اريستيد " إليها ...

لقد اعترف لها العجوز بحبه ...

فهل تستغل هذه النقطة فى لحظة الهروب التى سوف تصنعها ؟ !

من المؤكد أنه سيعاود الحـــديث إليها مرة أخرى وستجعله يتحدث عن زوجته الراحلة كثيراً ..

إن الشئ الوحيد الذى أيقظ فى قلبة نار الحب هو شعرها الأحمر ..

فمن المعروف عن هذا الرجل زهدة فى النساء ، ويبدو أنه بدأ الآن

يستعيد ذكريات شبابه الجميلة ..إنه يتذكر حبيبته الراحلة التى تركته يعيش فى فراغ عاطفى منذ أيام شبابه ...

ترى هل يمكنها أن تخضعه لسلطان حبها وتقنعه بالرحيل معها ؟

إن الخروج من هذا المكان بات حلماً صعب المنال أن تفعل كل ما فى وسعها من أجل تحقيقه .. نعم لابد من الفرار من هذا السجن ...

***

دخل المفتش " ليبلان " على " جيسوب " وهو مشرق الوجه وقال له :

– أخيراً تلقينا رسالة بالشفرة ...

ثم نشر ورقة كانت بيده وقال :

– كان أحد طيارينا فوق الصحراء بجوار جبال أطلس ..

قال " جيسوب " :

– وماذا قال فى تقريره ؟

– تلقى رسالة بالشفرة فى موقع بالمنطقة الجبلية ..إنها إشارة لاسلكية بطريقة " موريس " وقد كررها المرسل ثلاث مرات ...

كانت الرسالة تحمل ثلاث كلمات فقط هى ( كوج جذام سيل ) ..

قال " ليبلان " :

- كوج هى كلمة السر وتعنى أن الرسالة من قبل أحد عملائنا وليست مدسوسة علينا ، وكلمة سيل هى شفرة (لا أعلم شيئاً) أما الجذام فمعناها واضح ...

قال " جيسوب " :

- هل توجد فى هذه المنطقة مستعمرات للجذام ؟

- لا أعلم .. ولكن يمكننا أن نعرف كل شئ حالاً ..

وعلى الفور نشر خريطة على المكتب وأخذ يفحصها ثم أشار إلى موضع بها وقال :

- كان الطيار يحوم فوق هذه المنطقة ..

وبعد قليل أشار إلى نقطة حمراء اللون وهتف قائلاً :

- هاهى مستعمرة للجذام .. إننا نسير فى الطريق الصحيح ...

قال " جيسوب " :

- ومن الذى يديرها ؟ هل هى الحكومة الفرنسية ؟

- لا أعلم ... انتظر ..

غادر الغرفة ثم عاد يحمل مجلداً ضخماً أخذ يقلب فى صفحاته ثم توقف عند صفحة معينة وقال :

- لقد أنشأ هذه المستعمرة رجل من كبار الأغنياء اشتهر بحبه للخير

وتضم مركزاً علمياً لعلاج أمراض الجذام والسرطان والجدرى وبها حوالى مائتا مريض تحت إشراف أشهر الأطباء الذين يقومون بأبحاث علمية شاقة من أجل التوصل لعلاج للجذام ..

كما أن هذا المركز فوق الشبهات فهو تحت إشراف رئيس الجمهورية ..

قال " جيسوب " :

– رائع .. رائع ... أرجو أن تواصل القراءة ..

قال " ليبلان " :

– ومن حين لآخر تقوم بعض البعثات العلمية بزيارة المركز وتضم المشاهير والعلماء والأطباء وتقوم بالإطلاع على أحدث ما توصل إليه .. ودائماً ما تعود هذه البعثات وهى راضية عن العمل فى المركز كل الرضا ولا يشك أحد فى أى شئ ..

– بالطبع لأنهم لا يرون ما يريد القائمون علي الأمر أن يروه ولا شئ غيره..

إننى أشعر بأن هذا المركز يخفى وراءه نشاطا غريبا .. إنه أصلح مكان لإخفاء الأنشطة غير المشروعة ..

قال " ليبلان " متردداً :

– ربما .. فقد يكون هذا المركز الحصين هو إحدي المحطات التى يستريح بها العلماء قبل مواصلة رحلتهم إلى المحطة النهائية ..

قال " جيسوب " وقد تألقت عيناه بالذكاء :

- أعتقد أن هذا المركز هو نفسه المحطة النهائية ...

قال المفتش " ليبلان " :

- ماالذى يحملك على هذا الظن ؟

- إن العلم تقدم كثيراً ولم تعد هناك حاجة لعزل مريض الجذام عن الناس ، بل يمكن علاجه وسط الآخرين والحيلولة دون وقوع العدوى ..

إذن فهذه المستعمرة مقامة لغرض آخر لا علاقة له بأعمال الخير ..

إنها مجرد ستار يخفى هذه الأعمال ...

قال " ليبلان " :

- إن المليونير " اريستيد " صاحب المركز رجل فوق مستوى الشبهات من أغنى أغنياء العالم ومعروف بحبه لأعمال البر والإحسان وله العديد من المستشفيات الخيرية فى فرنسا وغيرها ...

- لعلك نسيت أنه كان فى " فزان " فى نفس الوقت الذى كانت فيه "أوليف بيترتون" هناك :

- إن هذا شئ عجيب للغاية ...

- ولكن هناك مخاطرة شديدة أن نتهم هذا الرجل دون وجود دليل معنا....

إنك لا تتصور مدى النفوذ الكبير الذى يتمتع به الرجل ... إنه يستطيع التأثير فى كل المنشآت والدوائر الحكومية والمؤسسات والصناعات الكبرى ومصانع الاسلحة وشركات النقل والطيران .....

وبإمكانه اسقاط الحكومات ...

ورغم أنه يعيش فى عزلة بقصره فى أسبانيا إلا أن أمواله تلعب دوراً كبيراً فى عالم السياسة ...

فالجميع يمتثلون لأوامره وينفذون رغباته ...

إنه يحرك الجميع من وراء ستار ولذلك فلابد أن يتوافر لدينا أى دليل قبل القيام بخطوة واحدة ...

– سوف نتمكن من العثور على هذا الدليل ...

– إذا لم نعثر عليه فسوف نفقد وظائفنا ...

قال " جيسوب " :

– كلا .. فسوف ننجــح يا صديقى ...

***

# الفصل العاشر

أخيراً وصلت سيارات الوفد رفيع المستوى إلى المركز ثم توقفت أمام البوابة الرئسية ...

كانت أربعة سيارات ، فى الأولى أحد الوزراء ومعه السفير الأمريكى بباريس ، وفى الثانية القنصل الانجليزى بالمغرب وعضو بالبرلمان الفرنسى ومدير شرطة باريس ، فى الثالثة عضو في مجلس العموم البريطانى ورئيس سابق للمحكمة العليا بالإضافة إلى اثنين من كبار الصحفيين ...

أما السيارة الرابعة فكانت تقل مفتشى المخابرات الشهيرين مسيو "ليبلان" ومسيو "جيسوب" ...

وعلى الفور فتح الحراس البوابة الرئيسية ودخلت السيارات بينما اصطف عدد من أبرز القيادات بالمركز لاستقبال هذا الوفد الرفيع المستوى ...

غمغم الوزير قائلاً :

– أرجو أن تكون الاحتياطات قد تم اتخاذها حتى لا نتعرض للخطر ...

قال المفتش " ليلان " :

لا تخشى شيئاً ياسيدى ..إننا لن نقترب من المرضى بل سنراهم عبر الحواجز ...

كان على رأس المستقبلين مدير المركز وبعض كبار الأطباء ..

وبعد تبادل التحية قال الوزير :

– أرجو أن يكون مستر " اريستيد " قد حضر كما وعد ...

قال نائب المدير :

– لقد عاد مستر " اريستيد " من أسبانيا بالأمس كى يتشرف بمقابلتكم وهو الآن ينتظركم فى مكتبه فأرجو أن تتفضلوا معى ..

تقدمهم نائب المدير وساروا خلفه ...

رأى الضيوف المرضى خلف الأسلاك الشائكة وهم يحدقون فيهم بنظرات حزينة تقطع القلوب فشعروا بالأسى من أجلهم ...

وأطمان الوزير إلى أن جميع الاحتياطات قد اتخذت وأنهم فى أمان تام من العدوى ..

دخل الضيوف إلى مكتب مستر "اريستيد" الفخم وراحوا يتأملون كل ما فيه بإعجاب ...

رحب مستر " اريستيد " بالضيوف بحرارة وأبدى ارتياحة بزيارتهم للمستشفى والمعامل ، وتحدث عن أحدث الطرق والاكتشافات التى تم التوصل إليها لمعالجة هذا المرض اللعين بينما كان الجميع ينصتون إليه...

قال أحد الصحفيين مخاطباً مستر " اريستيد " :

- دعنى أهنئك على هذا العمل الرائع يا مستر " اريستيد ". إنك خير نموذج لرجل الخير والبر بالإنسانية وليت جميع الأغنياء يفعلون معشار ذلك...

قال " اريستيد " :

- إننى فخور بهذا المكان الذى كنت أظنة حلماً بعيد المنال ، ولكننى لم أبخل بشئ عليه حتى أصبح بهذه الصورة الرائعة و إننى أهديه للانسانية ..

قال أحد الأطباء :

- إن هذا المركز مزود بأحدث الأجهزة فى العالم ولن يحلم العلماء بمكان أفضل من هذا أبداً ، وقد حققنا نتائج رائعة حتى الآن ...

قال " أريستيد ":

- وبتوفيق من الله حققنا هذا النجاح ...

همس عضو البرلمان فى أذن رئيس المحكمة العليا قائلاً :

- ياله من عجوز منافق ...

إنه يتظاهر بالتقوى والورع أمامنا ، ولا يعلم إلا الله كم عدد البيوت التى خربها بمضارباته ...

قال القاضى :

– نعم .. وقد تم التوصل إلى أعظم الاكتشافات العلمية بإمكانيات ضعيفة للغاية ولم يكن الأمر يحتاج إلى كل هذه المظاهر ...

قال مستر " اريستيد ":

– من دواعى سرورنا أن تتفضلوا بتناول الطعام معنا ، وسوف ينوب الدكتور " فان هايديم " عنى فى ذلك لأننى أتبع نظاماً غذائياً معيناً وبعد الطعام سوف تشاهدون المعامل وسيجيب الدكتور " فان هايديم " على تساؤلاتكم ...

كان الطعام رائعاً للغاية نال استحسان الجميع بما فيهم الوزير الذى اثنى على الطعام كثيراً ...

قال الدكتور " فان هايديم " :

– إننا نهتم بالطعام هنا اهتماماً بالغاً ونقدم أحسن الأنواع منه للعلماء والمرضى على السواء ....

ولدينا هنا ثلاجات ضخمة تحتوى على الفواكه والخضروات الطازجة واللحوم وكل أنواع الطعام التى تصل إلينا بواسطة الطائرات مرتين أسبوعياً ....

وبعد الطعام تناولوا القهوة ثم بدأوا فى تفقد المعامل واستغرقت الزيارة

حوالى ساعتين ، أجاب الدكتور " فان هايديم " على كل الأسئلة ..

كان الوزير يتقدم الجميع وبجواره الدكتور " فان هايديم " ، أما "جيسوب" و" ليبلان " فقد سارا فى المؤخرة عامدين ...

أخرج " جيسوب " من جيبه ساعة كبيرة وتطلع فيها ثم هز رأسه بأسف قال له " ليبلان ":

- ألم تجد أى شئ حتى الآن ؟

- كلا ...

وفى كل مكان كانوا يمرون فيه يسأل " ليبلان " هذا السؤال ويتلقى نفس الإجابة :

- لا يوجد ما يدل على وجودهم هنا حتى الآن ...

قال " ليبلان " :

- يبدو أنهم نقلوهم إلى مكان بعيد حتى لا نلتقي بهم .. ولكن لابد لنا من الحصول على الدليل حتى يمكننا التصرف ...

إننا بدون هذا الدليل سنقف عاجزين مكتوفى الأيدى فالجميع كما ترى مبهورون بهذا المكان ولا يمكن أن يصدق أحـدهم أن " اريستيد " هو الذى اختطف العلماء ...

قال " جيسوب " :

- أشعر بأننا سوف نحصل على الدليل قبل مغادرة هذا المكان ...

- من الواضح أنك مفرط فى التفاؤل ...

قال " جيسوب " :

- هل تعلم ما هذه الساعة التى أحملها ؟ إنها من أحـــدث أجهزة الاستقبال وهى تستقبل ذبذبات جهاز آخر يحمله بعض عملائنا ولكن ليس على مسافة أكثر من مائة متر ، ومازال لدى الأمل فى أن أتلقى هذه الذبذبات هنا ، ولاشك أننا حتى الآن لم نقترب منه بالدرجة الكافية ...

- أتمنى أن يتحقق هذا الأمل ...

ولكن هذا ليس دليلا قاطعا ولن يقتنع به الوزير أبداً ... ماذا تعنى ذبذبة فى الجهاز ؟

لابد أن يرى بعض هؤلاء المختطفين هنا أمام عينيه ....

- سوف يراهم ... ولكننى لا أهتم بالوزير أو السفير أو أعضاء البرلمان فإن لكل منهم توجهاته السياسية وجميعهم يحرصون على إرضاء جميع الأطراف .. إننى أهتم برجل عجوز ضعيف البصر ....

- تقصد رئيس المحكمة العليا السابق ؟

- نعم .. إنه له أنف شديد الحساسية يشم رائحة الفساد على بعد ، ولا يوجد ما يحول بينه و التصدى له .. إنه يواصل الإنصات بصبر وأناة حتى يعثر على الدليل ...

***

أخيراً انتهت الجولة وعاد الضيوف إلى مكتب مستر " اريستيد " وراح الوزير يهنئ المليونير على هذا العمل العظيم وتبعه السفير وأعضاء الوفد جميعاً ....

نظر الوزير حوله بعصبية وقال :

– والآن أعتقد أن الوقت قد حان كى ننصرف من هنا لقد شاهدنا كل شئ وليس هناك ما يستحق أن نشاهده ...

وخلال نطقة بالعبارة الأخيرة نظر نحـــو " جيسوب " و " ليبلان " وكأنه يقول لهما ( هل رأيتم مدى حماقتكم ؟ )

ثم استطرد قائلاً :

– وأقرر أمامكم أن هذا المركز من أعظم ما شهدت فى حياتى وأعتقد أنه لا يوجد له مثيل فى العالم ...

شعر " ليبلان " و" جيسوب " بأن الرجل يسخر منهما ويتساءل أين اختفى العلماء الذين زعمتم أنهم موجودون هنا ؟ هل ابتلعتهم الأرض ؟

وهنا ارتفع صوت " جيسوب " قائلاً :

– عفوا يا سيدى الوزير .. أريد أن أوجه سؤالا لضيفنا الكريم ...

أذن له الوزير فقال " جيسوب " :

– لقد التقينا بعدد كبير من العلماء والأطباء ولكننى كنت أريد مقابلة صديق قديم علمت أنه موجود هنا ...

فهل يمكن استدعاؤه ....

قال الدكتور " فان هايديم " متعجباً :

– صديق لك يعمل معنا ؟

– بل اثنين .. سيدة تدعى " أوليف بيترتون " وزوجها العالم الذى كان يعمل فى مركز " هارويل " فى انجلترا وقبل ذلك كان يعمل بالولايات المتحدة ....

فهل يمكن أن أتحدث إليهما ؟

كان تصرف الدكتور " فان هايديم " مثالياً فلم تختلج عضلة من وجهه بل ظهرت علامات الدهشة عليه وقال باستغراب :

– " بيترتون " .. " بيترتون " ..لايوجد لدينا أحد يحمل هذا الاسم ..

قال " جيسوب " :

– ويوجد أيضاً شاب أمريكى يدعى " اندرو بيترز " .. وهو باحث كيماوى...

ثم سأل السفير الأمريكى قائلاً :

– أليس كذلك يا سيدى ؟

– نعم ... إننى أحب أن أقابله ..

فازدادت دهشته " فان هايديم " وقال :

– " اندرو بيترز " .. إننى لم أسمع بهذا الاسم من قبل ، وأنا واثق أنه لايوجد معنا بالمركز من يدعى " بيترز " ....

قال " جيسوب " بلهجة التحدى :

– ولكن من المؤكد أنك سمعت عن " توماس بيترتون " ؟

ألقى " فان هايديم " نظرة سريعة إلى مستر " اريستيد " ثم قال :

– " توماس بيترتون " .. أعتقد أنه ....

فقاطعة أحد الصحفيين قائلاً :

– إنه العالم الذى اختفى فجأه وكان حديث الصحف خلال الشهور الماضية .. لقد اختفى فى باريس أثناء حضوره لمؤتمر علمى هناك وقد فشلت جهود رجال البوليس فى العثور عليه .. هل تعتقد يا مستر "جيسوب" إنه موجود هنا ؟

قال " فان هايديم " بعصبية :

– ماذا تقول يا سيدى ؟ لا شك أن لديك معلومات خاطئة ناتجة عن إشاعة كاذبة مغرضة .. لقد رأيت بنفسك كل شئ ...

قال " جيسوب " بإصرار :

– كلا .. إننا لم نر كل شئ .. فهناك رجل يدعى " ايريكسون " وايضاً الدكتور " لويس بارون " وربما كانت مسز " كالفن بيكر " هنا أيضاً ...

قال الدكتور " فان هايديم " وكأنه تذكر شيئاً :

– يبدو أنك تتحدث عن هؤلاء الأشخاص الذين قتلوا فى حادث سقوط طائرتهم بالمغرب .. لقد طالعت هذا النبأ فى الصحف منذ حوالى أسبوعين إنها خسارة فادحة لفرنسا .

فالدكتور " بارون " من العلماء الأفذاذ أما مسز " كالفن بيكر" فلم أسمع عنها ، وربما كان بين الركاب مسز بيترتون التى تحدثت عنها ...

– أى أنهم غير موجودين هنا ؟

– كيف تعتقد أنهم هنا رغم ان البوليس عثر علي جثثهم بين حطام الطائرة ؟

قال " جيسوب " بكلمات واضحة :

– لقد كانت الجثث متفحمة ولا يمكن التعرف علي شخصيات أصحابها...

وهنا ارتفع صوت أجش قائلاً بلهجة صارمة :

– هل تعنى أنه لم يتم التعرف على أصحاب هذه الجثث ؟

كان المتحدث هو اللورد " الفير ستوك " رئيس المحكمة العليا السابق فقال " جيسوب " :

– نعم يا سيدى اللورد .. لقد كانت الجثث متفحمة تماماً ولذلك افترض رجال البوليس أنها هى جثث ركاب الطائرة ، ولكن لدى أسباباً قوية تجعلنى واثقاً أن ركاب الطائرة الأصليين مازالوا على قيد الحياة ...

قال اللورد " الفير ستوك " :

– إن اعتقادك هذا لا يعد دليلاً يا مستر " جيسوب " ....

– بل يوجد لدى دليل يا سيدى اللورد .. فعندما غادرت مسز "بيترتون " فزان كانت تتزين بعقد من اللؤلؤ المقلد ، وقد عثرنا على حبة من هذا العقد

بالقرب من حطام الطائرة ...

قال القاضى :

- وكيف تأكدت أنها من نفس عقد مسز " بيترتون " ؟

قال " جيسوب " :

- لأن هناك علامات سرية بجميع حبات العقد لايمكن رؤيتها بالعين المجردة بل تظهر بالعدسة المكبرة ، وقد وجدنا هذه العلامة على الحبة التى عثرنا عليها ...

- ومن الذى وضع العلامة على الحبات ؟

- أنا ...

- ولماذا فعلت ذلك ؟

- من أجل الوصول إلى " توماس بيترتون " من خلال زوجته .. لقد صدر أمر بالقبض على الرجل لإفشائه أسرار خطيرة تمس أمن الدولة ...

وقد عثرنا على عدد من الحبات فى مواضع أخرى تقع بين المكان الذى سقطت فيه الطائرة وبين هذا المركز ، وقد أفادت التحريات بمرور عدة أشخاص تتطابق أوصافهم مع ركاب الطائرة المحترقة ...

وهناك دليل آخر فقد زودت أحد الركاب بقفاز يده مغطاة بالفسفور وأوصيته بأن يخرج يده من السيارة فى الظلام حتى يظن الأهالى البسطاء ان يده تضئ وأن أحد أصحاب الكرامات مر بقريتهم لما يساعدنا على اقتفاء أثرهم .

وقد علمنا أن العديد من الأهالى شاهدوا هذه اليد المضيئة فى السيارة التى اتجهت إلى هذا المركز ...

تألقت عينا اللورد " الفير ستوك " وقال :

- رائع .. إن كل ما فعلت يا مستر " جيسوب " يدل على الدهاء وسعة الحيلة ورغم ما أبداه مستر " اريستيد " من ثبات الأعصاب إلا انه تململ فى مقعدة وبدت علامات اضطراب على وجهه ..

اعتدل القاضى وقال :

- أين عثر على آثار هذه المجموعة ؟

- فى أحد المطارات الحربية المهجورة ...

ثم بسط " جيسوب " خريطة معه وأشار إلى موقع المطار فقال "اريستيد" :

- إن هذا المطار يقع على بعد مئات الأميال من هنا فكيف علمت أن هذا الحادث كان مصطنعاً وأننا نقلنا هؤلاء الأشخاص إلى المركز ؟ ولماذا نفعل ذلك ؟

قال " جيسوب " :

- هناك أسباب قوية تدفعنى لأن أقول ذلك ، فقد أرسلنا طائرة لمسح المنطقة وعند مرورها فوق هذا المركز تلقت إشارة لا سلكية خاصة بواسطة جهاز لاسلكى كنا قد زودنا به أحد ركاب الطائرة المفقودة ، وفهمنا من الرسالة أن هؤلاء الذين نبحث عنهم موجودون هنا .

قال " اريستيد " ساخراً :

– أعتقد أنك وقعت ضحية لمؤامرة الهدف منها مجرد تضليلك بالاضافة إلى الإساءة إلينا ...

أؤكد لك أنه لا يوجد لدينا أحد من هؤلاء الذين ذكرت أسماءهم ...

ويمكنك أن تفتش المبنى إذا أردت ...

قال " جيسوب " :

– وبماذا يفيد تفتيش المبنى ؟ إننى واثق أننا لن نعثر على شئ ، وقد قمنا بجولات عديدة فيه دون ان نرى شيئاً ...

قال " اريستيد " :

– إن أقوالك متناقضة مع بعضها يا مستر "جيسوب "... لقد أكدت منذ لحظات أنهم هنا ثم قلت الآن أن التفتيش لن يؤدى للعثور عليهم .

– نعم .. لأنهم موجودون فى مكان خفى ...

– هل يمكنك تحديد هذا المكان السرى ؟

ابتسم " جيسوب " وهو يقول :

– نعم .. يوجد هذا المكان فى الدهليز الرابع الذى يقع أمام المعمل رقم (٣) فى أقصى اليسار ...

وعلى الفور تململ الدكتور " فان هايديم " فى مقعده وظهر الاضطراب على وجهه فتظاهر بأنه يثبت نظارته على عينيه ولكن النظارة سقطت على

الأرض من فرط ارتعاش أصابعة ...

فقال له مستر " جيسوب " ساخراً :

– هل رأيت يا دكتور أن معلوماتي صحيحة ؟

قال الدكتور بانفعال :

– إن هذه إهانة لا نقبلها .. ان ما تقوله خطير للغاية .. فكيف تزعم اننا نسجن هنا بعض الأشخاص ؟ !

إننى أنكر كل ذلك بشدة ...

– هل تعلم كيف عرفت ذلك ؟ إن أحد رجالنا انضم إليكم على أنه من العلماء ، وقد زودناه بجهاز لا سلكى يرسل ذبذبات معينة وعندما كنت أمر فى هذا الموضع تلقيت الذبذبات الصادرة من هذا الجهاز ...

قال الوزير :

– يبدو أننا نقف فى مفترق الطريق فأحد الأطراف يؤكد والطرف الآخر ينفى بشدة ..

قال المليونير بهدوء :

– إننى سعيد للغاية بسماع هذه القصة الطريفة التى ذكرها مستر "جيسوب" وبناها على افتراضات خاطئة .. كما أننى سعيد بزيارتكم وأعتقد أن الوقت قد حان لانصرافكم حتى أتمكن من العودة إلى أسبانيا فوراً ...

ولا أريد أن يطول بقاؤكم هنا أكثر من ذلك حتى لا تقلق حكوماتكم ويظن الجميع أن طائرتكم قد تحطمت ...

أدرك " جيسوب " و " ليبلان " أن اللحظة الحاسمة قد جاءت وأن الرجل يحاول استخدام نفوذه فى انهاء الموقف لصالحه ويتحدى الجميع ، بينما كان الوزير يشعر بالحرج ولايعرف كيف يتصرف ....

والجميع حريصون على عدم أثارة المشاكل مع المليونير حتى لا تتأثر حكوماتهم بما قد يفرض عليها من عقوبات ..

أدرك " جيسوب " ان اى محاولة للاستعانة بأحد رجال الوفد هى محاولة فاشلة تماماً ، ولم يجد أمامه سوى القاضى العجوز ..

أخذ يتأمله بدهشة وقال لنفسه :

– إنه لن يستطيع شراء هذا العجوز بكنوز الدنيا ...

وفى هذه اللحظة انطلق صوت القاضى وهو يقول بلهجة صارمة :

– أرجو أن تتمهلوا قليلاً أيها السادة فأمامنا قضية تستحق التحقيق فالاتهامات فى غاية الخطورة ولابد أن تتاح الفرصة لتأكيدها أو تفنيدها ...

قال " اريستيد " وقد نفذ صبره :

– القاعدة القانونية تقول أن البينة على من أدعى ، وعلى مستر "جيسوب" إقامة الدليل على اتهاماته ....

وهنا تصاعد صوت غريب من أقصى القاعة قائلاً :

إن جميع الدلائل حاضرة هنا أيها السادة ...

لم يكن صوت " جيسوب " أو " ليبلان " أو القاضى بل كان صوت خادم من البربر أسمر الوجه يرتدى ملابس الخدم ...

استدار الجميع إلى هذا الخادم بما فيهم الدكتور " فان هايديم " بينما قال الشاب :

- إن جميع الدلائل حاضرة أيها السادة .. لقد أنكروا وجود "اندروبيترز" و " تروكيل ايريكسون" والدكتور " بارون " ومسز " بيترتون " ولكنهم كانبون...

لأن جميع هؤلاء وغيرهم من أشهر العلماء موجودون هنا وأنا أتحدث بلسانهم ....

ثم تقدم الخادم ووقف أمام السفير الأمريكى وقال له :

- من المؤكد أنك لا تعرفنى وأنا على هذه الصورة ...

إننى " اندرو بيترز " ..

شهق مستر " اريستيد " شهقة خافتة بينما راح السفير يحملق فى وجه الخادم الزنجى وقد تحق انه هو " بيترز " متنكراً ...

قال " اندرو بيترز " :

- لدينا هنا عدد كبير من أعظم علماء العالم " شوارتز " الألمانى .. "هيلدانهايم" الألمانيه .. " جيفرى ودافيدسون " الانجليزيان .. " بل ويد " الأمريكى .. " بيانكو " الايطالى .. وغيرهم كثيرون .. إن الجميع هنا فى هذا المبنى ...

نعم انهم هنا فيما يعرف بجناح الطوارئ ، ولهذا الجناح باب سرى فى أحد الجدران بالدهليز لايمكن أن يكتشفه المرء بسهولة ...

هتف السفير الأمريكى قائلاً :

- نعم أنك "بيترز" .. ولكن كيف فعلت بنفسك كل ذلك ؟

- بحقنة من البارافين أصبحت شفاهى غليظة ، وبعد ذلك صبغت وجهى بهذه الصبغة ...

وقد كان مستر " جيسوب " يقصدنى عندما قال أنه نجـــح فى دس أحد عملائه هنا ، وقد أرسلت تلك الإشارة اللاسلكية باستخدام إشارة موريس للطيار الذى كان يمسح المنطقة بواسطة هذا الجهاز ..

ثم أخرج علبة سجائره وقال :

- إن الجهاز مخبأ داخل هذه العلبة ...

قال السفير :

- حتى أتأكد أنك " اندرو بيترز " فما هو رقمك السرى فى المخابرات ؟ واسمك الحركى وعلى الفور ذكر الرقم والاسم فقال السفير :

- نعم .. إن هذا هو " اندرو بيترز " بالتأكيد ...

قال الوزير متردداً :

- لقد زعمت أن كل هؤلاء العلماء مسجونون بغير إرادتهم ...

- بعضهم فقط .

- لابد من التحقق من صدق هذا الادعاء ...

فتقدم مدير الشرطة إلى مستر " اريستيد " الذى قال :

- يبدو أن القائمين على أمر هذا المركز قد خانوا الأمانة هذا إذا صحت مزاعم مستر " جيسوب " ...

ثم وجه نظرة صارمة إلى الدكتور " فان هايديم " ومدير المركز وكأنه يأمرهم بالتزام الصمت ثم استطرد قائلاً :

- إن الذى حدث منكما يعد خيانة للأمانة وإهدار لقيمة العلم والعلماء .. إننى لم أنشئ هذا المركز ليكن سجناً للعلماء .. كلا .. لقد أنشأته ليخدم الإنسانية ويعلى قدرها وتركت مسئولية إدارته بين أيديكم ، فاذا صحت مزاعم مستر " جيسوب " وكان هناك علماء محتجزون هنا فأرجو إطلاق سراحهم فوراً ..

قال المدير :

- ولكننى يا سيدى ...

قاطعة " اريستيد " بلهجة صارمة :

- أريد أن ينتهى كل شئ فوراً .. أيها السادة الضيوف .. أؤكد أننى لاأعلم أى شئ مطلقاً عما يدور هنا .. لقد خانوا ثقتى ولابد أن يعاقبوا ..

أرجو أن تتخذوا ما يلزم من الأجراءات أما أنا فسوف انصرف حتى ألحق بموعدى ...

وانحنى أمامه الجميع بما فيهم الوزير والسفير ...

فلا يجروء أحد على التعرض له بأذى بسبب ثروته ونفوذه ، وكان الرجل واثقاً تمام الثقة أنهم سيتكتمون أخبار هذه الفضيحة ؟ !

# مجموعة قصص أجاثا كريستى

ترجمة الأستاذ / محمد عبد المنعم جلال

* جريمة فى العراق
* العميل السرى
* أدلة الجريمة
* اختطاف رئيس الوزراء
* قتيل فى المترو
* الرسائل السوداء
* التضحية الكبرى
* ذكريات
* سر التوأمين
* اللغز المثير
* القاتل الغامض
* جريمة فوق السحاب
* الجريمة المعقدة
* المتهمة البريئة
* الجريمة الكاملة
* مغامرات بوارو
* الساحرة
* ابواب القدر


مكتبة معروف

محسوبة : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١١٢٥ فاكس ٤٨٢٠٠٨٩

القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية

بالمملكة العربية السعودية

مكتبة دار الشعب

ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض